

كتب ثقافية



أساطير هيرودوت

بقلم  
أ. ج. أيفانز

ترجمة  
شفيق أسعد فريد







# أساطير هيرودوت

بقلم  
د. ج. إيفانيس

ترجمة  
شفيق أسعد فريد



## الفصل الأول

### أسطورة أيو وجايجس

تفينا إلى أبحاث هيردوت ، وهو ينشرها راجياً بذلك المحافظة على ذكرى ما فعله عظماء الرجال ، والحيلولة دون حرمان الأعمال العظيمة التي أتاها اليونانيون والبرابرة بما تستحقه من تمجيد ، وتسجيل الأسباب التي أدت إلى حدوث المنازعات بينهم

يقول ثقة الفرس في التاريخ أن الفينيقيين بدأوا النزاع ؛ فبعد أن هاجروا إلى البحر الأبيض المتوسط ، واستقروا في الأجزاء التي يقيمون بها الآن ، بدأوا يقومون بمغامرات تمثلت في رحلات طويلة ، حملوا فيها سفنهم بسلع آشور ومصر . ونزلوا إلى البر في أماكن كثيرة على الساحل ، وفي بقية بلاد أرجوس التي كانت أعظم الولايات التي تدخل الآن في دولة هيلاس . وهناك عرضوا سلعهم ، وتبادلوا التجارة مع الوطنيين لمدة خمسة أيام أو ستة . وبعد أن انتهوا تقريباً من بيع كل ما كان معهم ، أقبل إلى الساحل عدد من النساء وكانت معهن أيو ابنة الملك إناخوس . ووقفت النساء عند مؤخرة السفينة وانهمكن في الشراء ، وبخاءة أطلق الفينيقيون صيحة عظيمة ، وانقضوا عليهن ، فهرب منهن عدد بينما قبض الفينيقيون على الباقيين وأخذوهن معهم ، وأبحروا إلى مصر . وهكذا جاءت أيو إلى مصر ، وكان ذلك إيذاناً ببداية سلسلة من الأعمال المعادية بين الفريقين



وفي مرحلة أخرى ، نزل بعض اليونانيين في تاير على ساحل فينيقية ، وأختطفوا أوريبة ابنة الملك وبذلك انتقموا لابنة ملكهم ولكنهم ارتكبوا عملاً عدائياً آخر فيما بعد ، فقد بعثوا بسفينة حربية إلى آي مدينة كوليخييس على نهر فاسيس ، وبعد أن أتمت السفينة العمل الذي جاءت من أجله ، اختطف ملاحوها وميديا ، ابنة ملك البلاد ، فأرقد الملك رسولا يطالب بإعادة ابنه ودفع التعويض ، ولكن اليونانيين أجابوا بأنه مادام الفينيقيون لم يدفعوا لهم تعويضاً عن اختطاف أيو فإنهم لن يدفعوا شيئاً ..

ويقول الرواة أنه ، في العقد التالي ، قرر الاسكندر ابن بريام ، أن يتخذ له زوجة يختطفها من بلاد اليونان بعد أن اقتنع بأنه مادام اليونانيون لم يقدموا أية ترضية عما ارتكبوه من أعمال عدوانية ، فإنه لن يضطر إلى تقديم أية ترضية . واختطف الاسكندر فعلاً هيلين اليونانية وعندئذ قرر اليونانيون أن يبدأوا بارسال وفد يطالب بإعادة الأميرة ودفع تعويض ، ولكن الاسكندر رفض الطلب بدعوى أن اليونانيين سبق أن قاموا بمغامرات مماثلة ولم يدفعوا تعويضات عنها

وهكذا تكررت حوادث خطف النساء بين الفريقين ، إلا أن الفرس كانوا يلقون اللوم على اليونانيين لما وقع بعد ذلك ، لأنهم أرسلوا جيشاً إلى آسيا قبل أن يقوموا هم بأي هجوم على أوروبا. أما خطف النساء فكان في نظرهم أعمالاً فردية لا تستوجب نزاعاً حربياً ، وبالأخص لأن هؤلاء النساء لم يبدن اعتراضاً على خطفهن ، ولكن اليونانيين لم يوافقوا على هذا الرأي وحشدوا جيشاً جراراً غزاً آسيا وقضى على مملكة بريام ، ومنذ ذلك الحين والفرس يعتبرون اليونانيين أعداءهم الألداء ، نظراً لأنهم كانوا يعتبرون آسيا بمختلف قبائلها البربرية ملكاً لهم .



تلك هي القصة التي يسردها الفرس عن هذه الأمور ، وهم يرجعون  
عداوتهم لليونانيين إلى هجومهم على طروادة . أما قصة الفينيقيين عن أيو  
فتختلف عن قصة الفرس ، فقد انكروا أنهم استخدموا أي عنف لنقلها  
إلى مصر . وأنها - بعد أن صادقت ربان السفينة أثناء رسوها في أرجوس  
خشيت أن يفتضح أمرها بعد أن حملت سفاحاً ، وقبلت الرحيل معه إلى  
مصر ، ولكننا لن نتعرض لهذا الموضوع بالتأييد أو النفي .

وانتقل عرش ليديا من أسرة هرا كليد إلى أسرة كرديوس بالطريقة  
التي سنسردها الآن . . كان الملك كاندوليس ، ملك سردلين ، يعرف عند  
اليونانيين باسم مايرسيلوس

واتفق أن كان كاندوليس هذا مدلها بحب زوجته ؛ وكان يعتقد أنها  
أجمل امرأة في العالم وأدى هذا الوهم إلى نتائج غريبة ، إذ كان في حرسه  
الخاص رجل اسمه جايجس ابن داسيلوس وكان كاندوليس يحب هذا الشخص  
ويعهد إليه بالتصرف في أهم الشئون ويصطفيه دون غيره من رجال حاشيته  
ولكنه لاحظ أن صفيه لا يأبه لجمال زوجته . فاغاضه ذلك ، ولما كان  
القدر قد كتب على هذا الملك أن يموت موتة بشعة ، فقد قال له ذات يوم  
« إنني ألاحظ أنك لا تهتم بجمال زوجتي ، لكن لما كانت آذان الرجال  
لا تصدق مثل أعينهم . فعليك أن تدبر وسيلة تمكنك من رقيتها عارية ،  
وهنا صاح جايجس مستنكراً اقتراح الملك ، ولكن هذا أصر على رأيه  
برغم ضراعة جايجس إليه ليعفيه من هذه المهمة البغيضة إلى نفسه ، وكان  
جايجس يخشى أن تكون في الأمر مؤامرة ، فقال له الملك : « تشجع

يا صديقي ولا تظن اننى أستدرجك الى فخ منصوب ؛ وثق أنك ان تضار  
إذا فعلت ما أطلبه منك لأن زوجتى ان تعلم عن الامر شيئاً ، فسأوقفك  
خلف باب الغرفة التى تنام فيها وهو مفتوح ؛ وعندما أدخل لاستريح ،  
فإنها ستتبعنى ، وهناك مقعد قريب من المدخل ستضع زوجتى فوقه قطع  
ثيابها قطعة بعد أخرى بعد أن تخلعها وبذلك يمكنك أن تتأمل جمال  
جسدها على مهل ، وحينما تتحرك مبتعدة عن المقعد مديرة لك ظهرها ،  
يمكنك أن تتسأل مبتعداً بغير أن تراك .

وأسقط فى يد جايجس ، ولم يملك غير الاذعان .

إلا أن الحظ السيء شاء أن تلح الملكة جايجس بعد أن تجردت من  
ثيابها ، ولكنها كانت امرأة أريية داهية ، فلم تظهر لزوجها أية علامة تدل  
على أنها فطنت لما حدث ، ولكنها أصرت على الانتقام منه . فإذا كان  
الصباح ، وخرج الملك لتصرف شئون دولته ، استدعت الملكة جايجس  
وخبرته بين أن يقتل زوجها ويتزوجها ، أو أن تقتله فى الحال ،

وعبثا حاول جايجس أن يثنى الملكة عن عزمها ؛ ولما تبين له أنها  
مصرّة على رأيها ، اختار الحل الأخير . وحينما جاء الملك الى مخدعه فى تلك  
الليلة . كانت الملكة قد أخفت جايجس وراء الباب بعد أن أعطته خنجراً  
حاد النصل . وعندما استغرق الملك فى النوم . خرج جايجس من مخبأه  
وأغمد الخنجر فى قلب الملك . وبذلك آل إليه ملك كاندوليس وزوجته .



## الفصل الثاني

### أسطورة آريون

كان برياندر ابن كايديسلوس طاغية كورنثا ، ويقال أن حدثاً غريباً وقع في عهده ؛ ويقول الرواة أن آريون من ميثايمنا كان يجيد العزف على القيثارة بدرجة لا يفوقه أحد فيها ، وأن دولفيناً حمله على ظهره إلى تانياروم .

كان آريون قد عاش أعواماً طويلة في بلاد برياندر ، عندما غلبه الحنين إلى إيطاليا وصقلية ، ولما كان قد أصاب كثيراً من الثراء في تلك البقاع ، فقد قرر أن يعبر البحر إلى كورنثا ، فاستأجر سفينة كان بحارتها من أهل كورنثا ظناً منه أنه يستطيع الوثوق بهم ؛ وبعد أن أبحرت السفينة من تارنتم ، وخرجت إلى عرض البحر ، تأمر البحارة على آريون وقرروا إلقاءه في عرض البحر ، والاستئثار بثروته ؛ وحينما اكتشف آريون مؤامرتهم راح يتضرع لهم وعرض عليهم الاستيلاء على كل ماله والبقاء على حياته ، ولكنهم رفضوا ، وخبروه بين أن يلقى بنفسه في اليم ، أو أن يقتلوه ...

واختار الموسيقى الحل الأول ، وجلس عند مقدم السفينة ، وأمسك بقيثارته ، وراح يوقع عليه لحناً رائعاً . وعندما انتهى من توقيع اللحن ،



ألقى بنفسه في الماء وهو يرتدى ثيابه الكاملة .. واستمرت السفينة في طريقها إلى كورنثا ..

وتقول الأسطورة أن دولفنيا حمل آريون فوق ظهره ، وذهب به إلى كورنثا ، وهناك ذهب لمقابلة الملك برياندر ، وروى ما حدث له ، فلم يصدق الملك أول الأمر ، واحتججه كيلا يهرب . وترقب وصول البحارة في لفة ، فلما وصلوا ، استدعاهم إليه ، وسألهم عن أنباء آريون ، فقالوا إنهم تركوه في إيطاليا متمتعاً بصحة جيدة ، وعندئذ ظهر آريون أمامهم بنفس الهيئة التي كان عليها حينما ألقى بنفسه في البحر ، فبهت البحارة وادركوا أنهم من الهالكين ، ولكنهم اضطروا للاعتراف بأنهم ..



## الفصل الثالث

### أسطورة سولون

عندما مات الياثس خلفه ابنه كرويسوس على العرش وكان في الخامسة والثلاثين من عمره، وكانت أفسسوس أول مدينة يونانية تعرضت لهجومه عليها. وعندما ضرب حصاره على هذه المدينة وهب أهلها مدينتهم للإلهة ديانا وذلك بأن مدوا حبلاً من سور المدينة إلى معبد هذه الإلهة الذي كان يبعد سبعة فurlنح عن المدينة القديمة، وقيل أنهم كانوا أول من هاجمهم اليونانيون، وبعد ذلك تذرع كرويسوس بشتى المعاذير لغزو أيونيان وأيوميان، إلى أن أصبح سيداً على جميع المدن اليونانية في آسيا وأرغما على أن تدفع له الجزية، وبعد ذلك بدأ يبني سفناً استعداداً لغزو الجزر. وعندما استكمل استعداداته لهذا الغرض. وقد بيأس من برينيه فوضع حداً لمشروعاته، ذلك لأن الملك سأله، وكان هذا الرجل قد عاد أخيراً من سرديس، عما إذا كانت هناك أنباء من اليونان، فأجاب الرجل أن سكان الجزر يجمعون عشرة آلاف جواد استعداداً للقيام بحملة ضده ضد عاصمة مملكه، وخيل لكرويسوس أنه يقول الصدق، فصاح: هل وضعت الإلهة في أذهانهم أن يهاجموا أبناء ليديا بالفرسان؟، فأجابه بيأس: يبدو أيها الملك أنك كنت شديد اللهفة على لقاء سكان الجزر



راكبي الجياد ، ولكنك تعلم حق العلم ماذا سينتج عن ذلك ؟ .  
وصمت الملك لحظة ، ثم قرر العدول عن الحملة ، وتوقف عن بناء  
السفن ، وأبرم معاهدة تحالف مع أيوني الجزر .

وعندما أضيفت جميع هذه الفتوحات إلى الامبراطورية الليدية، وبلغ  
رخاء سريديس ذروته ، جاء حكام الاغريق الاحياء في ذلك الحين الواحد  
تلو الآخر ، ومن بينهم سولون الاثيني . . وكان سولون قد غادر أثينا  
منذ عشر سنوات مدعياً أنه يرغب في رؤية العالم ، ولكن الواقع أنه أراد  
أن يتجنب نقض القوانين التي وضعها الاثينيين ، بناء على طلبهم، وتعهدوا  
له بعدم نقضها بغير موافقته ، لأنهم تعهدوا بقبول الحكم على هدى هذه  
القوانين لمدة عشرة أعوام .

وخلال هذه الفترة ، زار سولون مصر ، وجاء إلى بلاط أمازيس، كما  
زار كرويسوس في سريديس ، فاستقبله كرويسوس كزائر ، وآواه  
في قصره الملكي ، وفي اليوم الثالث أو الرابع لوصول سولون ، أمر  
الملك خدمه بأن يطلعوا الضيف على كنوزه وما تميزت به من فخامة وعظمة،  
وعندما تم لسولون رؤيتها ، ألقى عليه كرويسوس السؤال التالي :

« أيها الغريب القادم من أثينا ، لقد سمعنا الشيء الكثير عن حكمتك  
وأسفارك طلباً للمعرفة والرغبة في رؤية العالم ، ولذلك فإنني أود أن  
أسألك من هو أسعد رجل فيمن رأيت ؟ » .

وكان السبب الذي من أجله ألقى الملك هذا السؤال على ضيفه أنه



كان يعتقد أنه أسعد الناس . ولكن سولون أجابه بلا مبالاة : إنه  
تيلوس من أثينا يا مولاي .

وبهت كرويسوس لما سمع ، فسأل بحسرة : « ولماذا تعتبره  
أسعد الناس ؟ » .

فأجاب الضيف : « لأن بلاده ازدهرت في أيامه ، ولأنه أنجب  
أولادا أخياراً على حظ كبير من الجمال وعاش ليرى أحفاده حتى أصبحوا  
رجالاً ، وعلاوة على ذلك فإنه مات بعد ذلك ميتة مشرفة إذ نشبت  
معركة بين أهل أثينا وجيرانهم بالقرب من اليوسس ، تخف لنجدة بني  
وطنه ، وأنزل الهزيمة بالعدو ، ولكنه سقط صريعاً في ساحة الشرف ،  
فدفنه مواطنوه في حفل مهيب بأجلى مظاهر التكريم » .

وهنا أعاد كرويسوس سؤال سولون عن يعتقد أنه يتلو تيلوس في  
السعادة . فأجاب سولون : « إنهما كليوبس وبيتو من جنس اجريف .  
كان ثراؤهما على قدر حاجتهما ، واسكنهما كانا يتمتعان بقوة جسمانية  
خارقة جعلتهما يفوزان بكثير من الجوائز في المباريات الرياضية ، ويقال  
أنه أقيم احتفال عظيم تكريماً للإلهة جونو في أرجوس ، وكان من الضروري  
أن تذهب أمهما إلى هذا الحفل راكبة عربية ، وإذا تخلف الثوران اللذان  
كان من المقرر أن يبحرا المركبة إلى الحفل نظراً لتأخرهما في العمل في الحقل ؛  
وإذا خشى الابنان أن يتأخروا جميعاً عن الحفل ؛ قاما ببحر المركبة  
مسافة خمسة وأربعين فورلنج حتى وصلا بها إلى المعبد ، وقد شاهد فعلتهما

الرائعة تلك جميع المصلين .. وانتهت حياة الابنين أحسن نهاية يمكن  
أن يطمع فيها إنسان ، وبذلك أبدى الله عز وجل أن الإنسان يمكن أن  
يحظى بالشرف في الموت أكثر مما يحظى به في الحياة . ذلك لأن الأم  
وقفت أمام تمثال الإلهة وتضرعت إليها أن تبارك ابنها اللذين كرماها  
أجل تكريم ، بينما أصر المصلون على إنشاء تمثالين للابنين اللذين أظهرنا  
نبلا وتفانيا في الاخلاص لأمهما لم يسبق له مثيل ، وبعد أن أقيم التمثالان  
وهبا لمعبود داني ..

وما كاد سولون يفرغ من قصته حتى صاح كرويسوس بغضب :  
إذن فأنت لا ترى أنني رجل سعيد أيها الغريب القادم من أثينا .. أنك  
لم تحاول حتى مساواتي بالرعايا

فأجاب سولون : لقد سألتني سؤالاً عاماً يا مولاي ، ولهذا أجبتك  
بما أراه عين الصواب .. كان سؤالك عن رجل ، ولما كنت قد بلغت  
السبعين من العمر فقد تجمعت لي تجارب كثيرة بحيث أصبح الاختيار  
والمفاضلة أمرين من الصعوبة بمكان ؛ وإني أعتبر أن سبعين عاماً هي  
الحد الأقصى لعمر الإنسان ، لأن عدد الأيام التي تشتمل السبعون  
عاماً عليها هو ستة وعشرون ألفاً ومائتان وخمسون يوماً ، تمر بالإنسان  
في كل يوم منها تجارب تختلف عن جميع التجارب التي تمر به في غيره .  
ومع أنني عرفت أنك على حظ كبير جداً من الثراء ، وأنتك ملك على  
شعوب كثيرة ، إلا أنني لا أملك إجابة على السؤال الذي ألقيته على ،  
ولن أملك هذه الإجابة إلا حينما أعلم أنك ختمت حياتك سعيداً ، لأن



من يملك أوسع الثراء لا يكون أقرب للسعادة من الشخص الذي لا يجد غير قوت يومه ، اللهم إلا إذا اقترنت ثروته بحسن الحظ فاستطاع أن يستمتع بكل ما تحققة الثروة إلى يوم يموت ؛ لأن كثيراً من أصحاب الثروات تنكر لهم الحظ ، بينما أدار الحظ وجهه إلى غيرهم ممن لا يملكون أى ثراء والخلاف بين الفريقين واضح ، فصاحب الثروة يستطيع أن يشبع رغباته ، وأن يواجه النكبات المفاجئة ، أما الشخص معدوم الثراء فلا يستطيع احتمال هذه الكوارث ( ولو أن حظّه الحسّن يجنبه إياها ) ، ولكنه يتمتع بالبركات التالية : صحة طيبة ، وحظ حسن ، وبركة في الأولاد ، ومحبة من الناس ؛ فإذا انتهت حياته نهاية طيبة ، فإنه ولا شك رجل سعيد . بيد أنه من النادر أن تتجمع هذه الصفات في رجل واحد ، كما أنه لا توجد دولة واحدة تملك بداخلها كل ما تحتاج إليه ، ولهذا فإن أسعد دولة هي التي تملك معظم احتياجاتها . وهكذا ترى أنه لا توجد دولة ولا يوجد رجل مكتمل من جميع النواحي ؛ ومن ثم فإن الإنسان الذي يتجمع له أكبر عدد من المزايا ، ويحتفظ بها حتى يموت ، فإنه — في رأيي — الرجل السعيد .

كان هذا هو الحديث الذي ألقاه سولون على كرويسوس . ولهذا ضاق الملك به . وعندما استأذن في الرحيل ودّعه بحفاوة .

## الفصل الرابع

### قصة أدرستوس

بعد رحيل سولون ، أنتقم الله من كرويسوس انتقاماً رهيباً ؛ ذلك أنه حلم ذات ليلة حلماً كشف له النقاب عن النسكبة التي خبأها له القدر في شخص ابنه . فقد كان لكرويسوس ابنان : أحدهما أبكم أصم ، والآخر شاب لامع اسمه أتايس . وقد رأى كرويسوس في الحلم أن ابنه أتايس سيموت بطلعة من سلاح حديدى . وافزع الحلم الملك ، وفى التو أرغم ابنه على الزواج ، وبعد أن كان أتايس يتولى قيادة الجيش فى الميدان ، حظر الملك عليه الاشتراك فى أية معارك ، كما نقل جميع الأسلحة التى كانت تستخدم فى الحروب من مساكن الذكور ووضعها فى غرف النساء خشية أن تسقط أحداها فتقتل ابنه .

وبينما كان الملك يعد العدة لزواج ابنه ، جاء إلى سرديس رجل لوث يديه بالدماء . وكان هذا الرجل من أسرة الملك فى برايجيان ، وقدم نفسه للملك كرويسوس وتضرع له أن يطهره من الاثم الذى ارتكبه طبقاً لتقاليد بلاده . وكانت طريقة الليديين فى التطهير شبيهة بطريقة اليونان ، فأجابه كرويسوس إلى طلبه . وبعد أن تمت عملية التطهير ، طلب الملك



من زائره أن يكشف له عما خفي من أمره ، فأجاب الضيف : « مولاي ،  
لأنتى ابن جوردياس ابن ميداس ، واسمى ادراستوس . وقد قتلت أخى  
غير متعمد ، فطردنى أبى من البلاد ، وبذلك فقدت كل شىء ، وجئت إليك  
لاجئاً ، فقال الملك : « إنك ابن بيت صديق لى ، ولهذا فأنتى أرحب بك  
وستقيم فى منزلى ما طابت لك الإقامة ، فهون عليك ولا تفكر فيما  
مر بك ، ومنذ ذلك اليوم عاش ادراستوس فى قصر الملك كرويسوس .

واتفق أن ظهر فى تلك الأثناء ذئب متوحش فى مايسيان أولمبوس  
وراح هذا الذئب يعيش فى الأرض فساداً ويفتك بأهلها ، فأوفدوا  
رسلاً إلى الملك كرويسوس يناشدونه العون فى القضاء على هذا الوحش .

والتمسوا أن يكون ابنه الباسل على رأس البعثة . ولكن الملك تذكر  
الحلم المروع فرفض إيفاد ابنه ، وإن قبل إرسال جماعة من خيرة مقاتليه  
لأداء هذه المهمة .

وحينما سمع اتايس ذلك احتج على أبيه وأصر على الذهاب ، فلما  
صارحه أبوه بالحلم الذى رآه ، قال الابن أنه يقدر موقف أبيه حق قدره  
ولكنه أردف قائلاً أنه لن يستعمل أية أسلحة حديدية فى مطاردة الذئب  
وبعد جدل كثير وافق الملك على ذهاب ابنه مع الوفد، ولكنه استدعى  
ادراسترس ، وبعد أن ذكره بالجميل الذى صنعه معه طالب منه  
مرافقة ابنه ومنع أى أذى عنه . . . إلا أن سوء الحظ ، أو قل القدر  
كان للأمير بالمرصاد . إذ ما كاد الرسل يطاردون الذئب ويعثرون عليه  
حتى رفع ادراستوس رمحاً حديدياً وقذفه به ، ولكن الرمح أخطأ الذئب

وأصاب اتايس في قلبه ، فقتله في الحال . . وبهذا تحقق حلم الملك .  
وأسرع أحد الرسل إلى الملك يفضي إليه بالنبا المؤلم ؛ وكان للنبا وقع  
الصاعقة على الاب ، وبالاخص لأن مصرع ابنه جاء على يد الرجل الذي  
لجا إليه فأواه وأحسن إليه .

وحينما جاء الرجال يحملون جثة اتايس إلى أبيه ، ركع ادراستوس  
أمام الملك ، وتضرع إليه كي يقتله .

ولكن الملك أنهضه وقال له إن الخطأ ليس خطأه لأن القدر سبق  
أن نبه إلى هذا المصير ، ولكنه لم يرتدع . .

وعندما دفنت جثة اتايس ، شق ذلك على نفس ادراستوس ، فانتحز  
فوق القبر . .

واستسلم الملك المفجوع للحزن عامين كاملين . .



## القَصَصُ النَحَاسُ

### كرويسوس

---

نسى الملك كرويسوس أحزانه بعد عامين حينما جاءه نبأ يقول أن سايروس بن قمبيز دمر امبراطورية استياجس وسايا كساريس ، وأن الفرس يزدادون قوة يوماً بعد آخر . وقرر كرويسوس أن يستشير الآلهة فيما إذا كان من مصلحته أن يبادر بالوقوف في وجه الفرس لوقف توسعهم .

ولذلك أوفد رسلاً إلى آلهة الإغريق وإلى الإله آمون في صحراء ليبيا .

وطلب الملك من رسله أن يعدوا الأيام التي تنقضي منذ رحيلهم عن سرديس وفي اليوم المائة يستشيرون الآلهة فيسألونها عما يفعله الملك كرويسوس بن الياثس ملك ليبيا في تلك اللحظة، وعلى الرسل أن يسجلوا الإجابة كتابة ويعودوا بها إليه . وحينما فعلوا ذلك تبين أن إجابة دافي هي الصحيحة ، إذا قال الإله أن الملك يطهو سلحفاة مع حمل في قدر نحاسي له غطاء من النحاس .

وكان هذا هو فعلا ما صنعه الملك في ذلك اليوم . وعندئذ قرر الملك أن يستشير إله دلفى فيما إذا كان من مصلحته الاشتباك في الحرب مع الفرس أم لا . وبعد أن حمل رساله بالهدايا للاله ، طلب منهم سؤال الاله دلفى عما إذا كان من مصلحته محاربة الفرس أم لا ، وهل ينبغي أن يستعين بحلفاء أم لا .. وجاء الرسل يقولون إن الآلهة أجمعت على أن اشتباك الملك في الحرب مع الفرس سيؤدى إلى تدمير إمبراطورية كبيرة ، وأن عليه أن يستعين بحلفاء أقوىاء من اليونانيين ..

وكاد الملك يطير فرحاً ، برغم أنه أخطأ في تفسير النبوءة ، وخرج بجيشه إلى كابادوسيا وهو مطمئن إلى أنه سيهزم سايروس ويقضى على إمبراطورية الفرس . وعندما وصل بجيشه إلى نهر هاليس ، وعبره ، دخل إلى إقليم كابادوسيا الذى كان يطلق عليه بنزيا ، ويقع بجوار مدينة سينوبيه على نهر إيركسين . وهنا أقام كرويسوس معسكره في أمنع نقطة وبدأ ينهب حقول السوريين . وحاصر مدينة التيريين واستولى عليها وجعل من أهلها أرقاء ، كما استولى على القرى المجاورة وأخضعها لحكمه . وهكذا جلب الخراب على السوريين برغم أنهم لم يرتكبوا إلثماً . . وفى تلك الأثناء كان سايروس قد حشد جيشه وزحف للملاقاة كرويسوس ، وكان يضم إليه قوات جديدة من الشعوب الموالية له أثناء سيره . وحينما التقى الجيشان دارت بينهما رحى معركة دموية طاحنة سقط فيها كثير من القتلى من الجانبين بغير أن يكتب النصر لأحدهما ، وحينما أقبل الليل كان الفريقان لا يزالان يقاتلان ببسالة معدومة النظير .



وفي اليوم التالي ، لم يستأنف سايروس القتال فعاد كرويوس بجيشه إلى سرديس وهو يعتزم جمع حلفاءه والعودة لملاقاة عدوه في الربيع . وعلى أثر وصول كرويوس إلى سرديس سرح جيشه ، نظراً لأنه كان مكرناً من جنود من المرتزقة ، ولأنه لم يكن يتوقع أن يجازف سايروس بالمجيء إلى سرديس . . .

ولجأة . ظهر سايروس بجيشه عند مشارف سرديس . ذلك أنه ما كاد يوهم كرويوس بأنه لا يعتزم استئناف القتال ، ويستوثق من رحيل كرويوس بجيشه ، حتى قرر أن يهاجم سرديس فجأة حتى لا يدع للسكها فرصة حشد جيشه .

واسقط في يد الملك ليديا ، ولكنه كان رجلاً شجاعاً ، فخرج لملاقاة العدو بما بقي لديه من قوات . . وتقابل الجيشان في سهل أمام سرديس ، وكان سهلاً مسطحاً مجرداً من الأشجار يرويه نهر هائلوس وأنهار أخرى عديدة تصب كلها في نهر واحد كبير هو نهر هرمس .

وعندما رأى سايروس الليديين وهم ينظمون أنفسهم في السهل استعداداً للقتال ، ولاحظ أنهم يضعون فرسانهم في المقدمة ، لجأ إلى خدعة تعلمها من هارباجوس أحد الميديين فجمع مالدیه من جمال وضعها في المقدمة ، لتواجه جياد الليديين ، ونظراً لأنه كان يعلم أن الجياد تنفر من الجمال بسبب رائحتها ، فقد قدر أن يكون ذلك سبباً في التخلص من فرسان أعدائه وصح ما توقعه سايروس ، إذ ما كادت جياد الليديين تشم رائحة الجمال حتى ولت الأدبار . ولكن الليديين كانوا محاربين شجعان ، فترجلوا عن جيادهم واشتبكوا مع العدو في معركة دامية . وطال أمد المعركة وبعد

مذبحة طويلة، تقهر الليديون إلى ما وراء أسوار المدينة فاحصرها الفرس . .  
وخيل لكرويسوس أن الحصار سيطول أمده فأوفد رسلاً إلى جيرانه  
وحلفائهم يطالبهم بالتجمع في سرديس في مدى خمسة أشهر . .

ولكن تطور الموقف المفاجيء قضى على أحلام كرويسوس . ذلك  
أن أحد جنود سايروس لاحظ أن في سور المدينة منطقة خطيرة يستحيل  
تقريباً تسلقها، ولذلك لم يعين الليديون أحداً لحراستها. وبعد أن استأذن  
هذا الجندي من قائده في محاولة تسلق السور من هذه المنطقة وأذن له ،  
استطاع الجندي أن يتسلق السور بعد لاي، وسرعان ما تبعه الكثيرون.  
وبهذا سقطت سرديس ، وأعمل العدو فيها السلب والنهب .

أما كرويسوس نفسه فكاد يموت بطعنة ربح من جندي فارسي يحمل  
شخصيته لولا أن رأى ابنه الابنكم ما كاد يحل بأبيه فأنجحت عقدة لسانه  
وصاح : أيها الرجل ، لا تقتل كرويسوس ، .

وسقط كرويسوس أسيراً في أيدي الفرس بعد أن استمر حكمه  
أربعة عشر عاماً ، وهكذا حقق نبوءة الآلهة فقضى على امبراطورية  
عظيمة هي امبراطوريته .

وجاء الفرس بكرويسوس مكبلاً بالأغلال وأوقفوه أمام ملكهم  
الظافر . فأمر الملك بعمل كومة هائلة من الأخشاب، ثم اجلسوا كرويسوس  
فوق الكومة واجلسوا معه أربعة عشر شاباً من الليديين . وأدرك كرويسوس  
أن عدوه يعتزم جزقه، وتذكر في تلك الأثناء العبارة التي سمعها من سولون



« ليس هناك انسان سعيد وهو على قيد الحياة ، وعندئذ تنهد من أعماق قلبه ، ثم تأوه : وردد اسم سولون ثلاثا ، وسمع سايروس الصوت فطلب من المترجمين أن يستعملوا من كرويسوس عما يقول ، ولكن الأسير لاذ بالصمت ، فألحوا عليه في الكلام ، وأخيراً قال : « اننى مستعد لأن ادفع أى ثمن لكى أرى رجلاً معيناً يخاطب جميع الملوك . ولم يفهم المترجمون المعنى الذى قصده كرويسوس ، فألحوا عليه لكى يفسر ما يعنيه وعندئذ اضطر إلى الاقضاء اليهم بالحديث الذى دار بينه وبين سولون الاثنى منذ أمد طويل ، وكيف أن كل ما قاله سولون قد تحقق بحذافيره ولو أن حديثه لم يكن منصبا عليه وإنما كان عاماً . وبينما كان كرويسوس يتحدث أشعل بعض جنود سايروس النار فى الخشب ؛ فلما سمع سايروس من مترجميه ما قاله الملك الأسير ، تملكه الندم . فأصدر أمره لرجاله لكى يطفئوا النار ، ولكنهم فشلوا فى السيطرة عليها .

وحينما تبين لكرويسوس ندم سايروس وفشل رجاله فى إطفاء النار ، نادى بأعلى صوته الإله أبولو وتضرع له أن يخفف لنجدته وإنقاذه من الخطر المصدق به . . . وجأة تجمعت سحب سوداء بعد أن كان الجو صافياً ، وانهمر مطر غزير أطفأ النار سريعاً ؛ وحينئذ آمن سايروس بأن كرويسوس رجل مبارك ، فسأله بعد أن أنزلوه من فوق كومة الأخشاب وحلوا وثاقة عن دفعه إلى محاولة غزو بلاده واتخاذة عدوا له بدلا من أن يكتسب صداقته فأجاب كرويسوس : « أيها الملك ، إن

ما فعلته كان من حسن حظك وسوء حظي . وإذا كان هناك من يستحق اللوم فإنه آلهة اليونان التي شجعتني على البدء بالحرب . . .

وهنا طلب سايروس من كرويسوس أن يجلس بجواره ، واحاطه باحترام كثير . وحينما لاحظ الملك المهزوم أن جنود الملك المنتصر يعملون السلب والنهب في المدينة ، قال له : « هل تسمح لي بأن أقول لك ما يدور بخلدى أم أن الصمت أحسن ؟ » . فطلب إليه سايروس أن يفضي إليه بذات نفسه . فقال : « ألا ترى ما يصنعه هؤلاء الجنود ؟ إنهم لا ينهبون مدينتي ، لأنها لم تعد مدينتي ، ولكنهم ينهبون ثروتك » .

وفطن سايروس إلى ما في قول كرويسوس من حكمة ، فأمر رجال حاشيته بالانسحاب ، ولما انفرد بكرويسوس ، سأله أن يبين له أحسن سبيل للعمل . فقال كرويسوس : « أما وقد أرادت الآلهة أن أصبح مدينا لك بحياتي ، فاسمح لي أن أقول لك إن الفرس شعب فقير ولكنه تكبر ، فإذا تركت جنودك ينهبون المدينة ، فليسوف تبطأهم النعمة ويتمردون عليك إذا لم تستطع أن تقدم لهم المزيد ؛ ومن ثم فإذا أردت نصيحتي فاجعل عند أبواب المدينة عدداً من رجال حرسك الخاص ومرهم بالاستيلاء على كل ما سلبه الجنود ونهبوه من المدينة عند خروجهم من الأبواب يدعوى أن تلك هي العشور المطلوبة لجوبيتر وبذلك تتجنب حقد الجنود عليك وتنازلهم عما نهبوه طواعية . »

وسر سايروس بهذه النصيحة أيما سرور ، وأصدره أوامره لرجال حرسه بالعمل تبعاً لما أشار به كرويسوس . وهنا طلب كرويسوس أن



يسمح له بإيفاد رسول إلى معبد داني ليضع الاغلال التي كان موثوقاً بها عند بابه . ثم شرح له النبوءة التي سبق أن جاءه الرسل بها ، فضحك سايروس على ذلك ، وحمل كرويسوس رساله برسالة للالهة ، وعندما عاد الرسل قالوا لكرويسوس إن ابولو قال لهم إن العقاب الذي حل به كان نتيجة للشرور التي ارتكبها جده الخامس الذي كان من رجال حاشية هرقليدس ، فاغتصب امرأته ، وذبحه، واعتلى عرشه . وكان ابولو يرغب في ألا تحمل اللعنة بكرويسوس ولكن الاقدار رفضت ذلك ، ولأنه هو الذي أنقذه من الموت حرقاً . ثم إن الإجابة التي تلقاها على استعلامه الأول قالت إنه سيدمر امبراطورية عظيمة ، ولكنه أخطأ وفهم أن الامبراطورية المقصود هي امبراطورية سايروس بينما الواقع أن النبوءة كانت تعني امبراطوريته هو، وكان الاجدر به أن يعود للاستعلام من الآلهة عن اسم الامبراطورية التي سيدمرها واسكنه تسرع لحق عليه الجزاء . . .

وهكذا انتهت امبراطورية كرويسوس .

## الفصل السادس

### أسطورة سايروس

اقتصرت في حديثي حتى الآن على بيان كيفية خضوع الليديين لحكم فارس ، وأصبح لزاماً على الآن أن أبين من هو سايروس الذي قضى على امبراطورية الليديين وما هي الوسائل التي استخدمها الفرس حتى أصبحوا سادة آسيا .

كان هناك رجل مسمى اسمه ديوسس بن فراورتس اتصف بالحكمة ولكنه كان رجلاً طموحاً يسعى للاستئثار بالملك لنفسه ، ولهذا رسم الخطة المدهشة التالية لتحقيق مآربه . كان الميديون يقيمون في تلك الأثناء في قرى مبعثرة بغير أن تكون لهم سلطة مركزية ولا قانون ينظم العلاقات بينهم ، ولما كان ديوسس يحتل مكانة مرموقة في قريته فقد كرس وقته للتحكيم بين المتنازعين .

وسرعان ما اشتهر بين قومه بالعدالة وسداد الحكم فأتخذوه حكماً في كل ما يطرأ بينهم من خلاف ونزاع ، وما لبث أن اشتهر أيضاً بين



سكان القرى المجاورة ، ونظراً لأن سكان جميع القرى كانوا يعانون في فساد النظام والاحكام فإنهم كانوا يجيئون إلى ديوسس ليفض منازلهم .

واستمر عدد الحالات التي تعرض عليه في الازدياد ، وعندئذ أيقن ديوسس أن الوقت قد حان للافدام على الخطوة التالية ، فأعلن أنه سيكون عن التحكيم لأنه أصبح يشغل وقته كله بدرجة أنسته مصالحه الخاصة .

وعندئذ بدأت الفوضى تعود فاجتمع الميديون من كل حذب وصوب وعقدوا مؤتمراً كبيراً حضره كثيرون من أصدقاء ديوسس واقترحوا تنصيب ملك عليهم يتولى أمورهم ويجري العدل بينهم . . وبعد مناقشات طويلة قرر المجتمعون اختيار ديوسس ليكون ملكاً عليهم .

وعندما أبلغ هذا القرار لديوسس ، طلب بناء قصر يتلاءم مع مركزه ، وأن يعين له حرس خاص ، فبنى الميديون له قصراً مساحته أربعة أخماس الميل ، وتركوا له حرية اختيار حرسه الخاص ؛ وبعد أن ارتقى ديوسس العرش ، طلب من الشعب بناء مدينة عظيمة تكون عاصمة للملك ، فبنى الميديون مدينة اجبتانا وجعلوها مدينة حصينة منيعة حولها سور مرتفع يكفل رد العدوان عنها .

وأصدر الملك الجديد أمراً بمنع اتصال الأفراد بالملك مباشرة ، وإنما جعل هذا الاتصال عن طريق موظفية ورسله .

وكان يلتقى الشكاوى مكتوبة ويبت فيها بالعدل الذى اشتهر به .  
وهكذا استطاع ديوسس أن يجعل من الميديين شعباً واحداً يحكمه  
بمفرده .

وبعد أن حكم ديوسس ثلاثة وخمسين عاماً، مات فخلفه ابنه فراورتس .  
ولم يكتب الملك الجديد بالدولة التى تركها له أبوه ، فغزا فارس وأخضعها  
لحكمه ؛ وبعد أن أصبح ملكاً على شعبين قويين ، تقدم اغزو آسيا فراح  
يقهر الدولة تلو الأخرى ، وأخيراً اشتبك فى حرب مع الآشوريين ،  
أو ذلك القطاع من الآشوريين الذى كان يتخذ من نينوى عاصمة له .  
ونظراً لأنهم كانوا شعباً قوياً ، فقد استطاعوا الانتصار على فراورتس  
الذى قتل فى ميدان القتال بعد أن حكم اثنين وعشرين عاماً .

وبعد موت فراورتس اعتلى ابنه اجزرسيس العرش ، ويقال إنه  
كان رجلاً عسكرياً أقوى من أسلافه وأنه أول من شكل جيشاً آسيوياً  
منتظماً ، فقسم الجيش إلى فرق بين حملة رماح ، وحملة سهام ، وفرسان  
بعد أن كانوا كتلة واحدة . وبعد أن استقرت له الأوضاع زحف على نينوى  
ليشار لآبيه واشتبك مع الآشوريين فى معركة رهيبة انتهت بهزيمة الآشوريين ،  
وعندما تهيأ فراورتس لحصار المدينة اكتسح عدداً هائلاً من الآسقيوثيين  
بقيادة ملكهم ماديس آسيا فى مطاردتهم للسامريين الذين طردوهم من أوربا  
ودخلوا أراضى ميديا .

وبعد أن غزا جيش اسقوثياً ميديا واستولوا عليها أصبحوا سادة آسيا  
وزحف الآسقيوثيون قدماً ، وفى نيتهم غزو مصر ؛ إلا أنهم ما كادوا



يصلون إلى فلسطين ، حتى استقبلهم ملك مصر بالهدايا وطلب منهم عدم الاستمرار في التقدم . وفي طريق عودتهم مروا بالمدينة السورية اسكالون ، وتلكأ عدد منهم في المؤخرة حيث نهبوا معبد سلسبتال فينوس وهو أقدم معابد هذه الإلهة ..

واستمرت سيطرة الاسقوثيون على آسيا ثمانية وعشرين عاماً واتصف حكمهم بالعسف وابتزاز الاموال ، وأخيراً دعا اجزرسيس والميديون عظماء الاسقوثيين إلى وليمة كبيرة وبعد أن أسرف الضيوف في شرب الخمر ، ذبحهم اجزرسيس ورجاله وبذلك استعادت ميديا امبرطوريته واستولت على نينوى ، وغزت آشور كلها باستثناء بابل .

ومات اجزرسيس بعد ذلك بعد أن حكم ميديا أربعين عاماً ، خلفه ابنه استاياجس الذي أنجب ابنة رأى لها في الحلم رؤيا مدهشة ، فقد علم أنه انبثق منها مجرى ماء لم يغمر العاصمة فقط ، بل غمر آسيا كلها . وطلب الملك من مفسري الاحلام أن يفسروا له معنى هذا الحلم . وأزعجه تفسيرهم ، فلما بلغت ابنته طور الانوثة رفض أن يزوجها لاحد الميديين وزوجها لرجل فارسي من أسرة كبيرة

وهكذا تزوج هذا الفارسي ، وكان اسمه قمبيز ، بماندانية ، وبعد عام رأى الملك استاياجس رؤيا ثانية مفادها أن كرمه نبتت من رحم ابنته وظللت آسيا كلها . وحينما قدم المفسرون له معنى هذا الحلم بعث يستدعى ابنته ماندانية من فارس . وكانت قد أنجبت طفلاً ، وعلى وشك أن تنجب الثاني ، وعند مجيء ماندانية وضعها أبوها تحت الملاحظة وقد اعتزم أن

يقتل الطفل الذي ستلده لأن المفسرين قالوا له إن الطفل الذي ستلده ابنته  
سيحكم آسيا بدلاً منه . ومن ثم فما أن ولدت ابنته طفلاً سايروس  
حتى بعث يستدعى هاربا جوس وهو من أخلص أعوانه ، وطلب إليه  
أن يأخذ الطفل ويذبحه بعد أن أفضى إليه بتفسير المنجمين للحلم الذي  
رآه أثناء نومه

وبعد تردد نزل هاربا جوس على أمر الملك فحمل الطفل إلى منزله  
وهو يبكي ؛ وأخذ يتشاور مع زوجته في الأمر ، وأخيراً استقر رأيهما  
على أن يبعثا في استدعاء رجل اسمه مترادانس أحد رعاة استايا جوس ،  
كان هاربا جوس يعلم أن مراعيه أصلح مكان لتحقيق رغبة الملك ، لأنها  
موجودة بين جبال تعج بالوحوش ؛ وكان هذا الرجل متزوجاً من إحدى  
جوارى الملك واسمها سباكو ، وكانت الجبال التي ترعى ماشيته عند  
حافتها في شمال اجيتانا . وعندما جاء مترادانس أمره هاربا جوس بأن  
يأخذ الطفل معه وأن يقدمه للوحوش لقتله بناء على أمر الملك ، وقال  
له إن الملك سوف يقتله إذا لم ينفذ هذا الأمر

وحمل الراعي الطفل بين ذراعيه ، ومضى به إلى منزله وهو شديد  
الحيرة . واستقبلته زوجته متلهفة ، وما كادت تسمع قوله حتى استبد بها  
القلق وبالأخص حينما لاحظت أن الطفل يرتدى ثياباً فاخرة موشاة  
بالذهب . وقال زوجها أن هاربا جوس بعث معه خادماً من قصر الملك  
ليدله على الطريق وأن الخادم قال له أن الطفل ابن ماندانيه ابنة الملك ،  
وأن اسم أبوه اجزرسيس واسمه هو سايروس . وأن أوامر الملك تقضى  
بقتل الطفل ..

وانفجرت زوجة الراعى باكية وراحت تناشد زوجها ألا يقتل  
الطفل ، فلما فشلت فى أول محاولة ، أعادت الكرة ، قالت لزوجها  
أنها مستعدة للتضحية بطفلها الذى ولدته منذ أيام على أن تتولى هى تربية  
طفل ابنة الملك . . وخيل لزوجها أن تلك الفعلة — وإن كانت  
تنطوى على تضحية نادرة — فإنها أحسن مخرج من المأزق . ومن ثم  
قرر اتباعها بدون اضاءة للوقت . فأعطى الطفل سايروس لزوجته ،  
وبعد أن ألبس ابنه ثياب الطفل الملكى حمله بين ذراعيه إلى منطقة  
ترتاها الوحوش فى الجبال ، وتركه هناك ، وبعد ثلاثة أيام — وكان  
قد ترك أحد اتباعه لمراقبة الطفل — ذهب متراداس إلى المدينة وقابل  
هارباجوس وقال له إنه مستعد لاطـلاعـه على جثة الطفل ، فبعث  
هارباجوس بأحد خالصاته مع الراعى . وبعد أن تأكد الرسول من  
موت الطفل ، دفنت جثته فى حفل مهيب .

وهكذا أخذت زوجة الراعى طفل ابنة الملك لتربيته تحت  
اسم آخر .

وعندما بلغ الطفل العاشرة من عمره وقع حادث كشف حقيقة  
أمره ، فقد كان يلعب ذات يوم مع عدد من فتيات القرية ممن هم فى مثل  
سنه . وقد اختار الغلمان ، ابن الراعى ، وهو الاسم الذى كان يطلق على  
سايروس حينذاك ، ليلعب درر الملك . فأخذ الغلام يصدر إليهم  
أوامره — فالبعض يبنى له بيوتاً ، والبعض الآخر يحرسونه ، وأحدهم  
يكون له عيناً ، وآخر يحمل رسائله . وكان من بين الغلمان ابن اربتمبارس



وهو من كبار الميدين وقد رفض أن ينفذ أوامر سايروس ، وعندئذ أمر سايروس الغلمان الباقين بالقبض على الغلام ، وعند ما نفذ الأمر ، أدب سايروس الغلام بأن ضربه بالسوط ضرباً قاسياً . وعندما عاد الغلام إلى أبيه شكاه إليه عما حل به على يد ابن الراعى فأخذ ارتيمبارس ابنه وذهب إلى الملك استاياجس وشكا إليه عما فعله ابن الراعى . فأراد الملك أن يطيب خاطر ارتيمبارس فأرسل يستدعى الراعى وابنه . وما كاد الملك يثبت عينيه في الغلام حتى ابتدره بقوله : كيف جرؤت يا فتى على معاملة ابن أحد النبلاء بمثل هذه القسوة ؟ ، فأجاب سايروس بكل جرأة : « لقد عاملته بما يستحقه يا مولاي . لقد اختاروني ملكاً في اللعب لأنهم ظنوا إنني أحسن من يستطيع أن يؤدي هذا الدور ؛ وأطاع الجميع أوامري إلا هذا الغلام فلم يكن مفر من تأديبه ، فإذا كنت تعتقد إنني أستحق عقاباً على ذلك فإني مستعد لاحتماله يا مولاي ، ، .

وبينما كان الغلام يتسكلم ، بدأت الشكوك تتلاعب بالملك من ناحية شخصية الغلام ، فقد لاحظ وجود شبه كبير بين وجه الغلام ووجهه ، كما أن سنه يتلاءم مع سن حفيده الذي أمر بقتله ، ووجم الملك قليلاً ، وأخيراً قال لارتيمبارس أنه سيبيت في الأمر بما يرضيه . ثم أمر بوضع سايروس في غرفة منعزلة ، وبعد أن صرف جميع الحاضرين ، استبقى الراعى معه . فلما انفردا سأله أين حصل على الغلام ، فأجاب الراعى إن الغلام ابنه وأن أمه مازالت على قيد الحياة . وهنا لجأ الملك إلى التهديد وشدد النكير على الراعى حتى اضطره في النهاية إلى الاعتراف بكل شيء .

وعصف الغضب بين جنبي الملك ، فارسل يستدعي هاربا جوس ، فلما جاء ورأى الراعى مع الملك فهم كل شيء ، وما كاد الملك يسأله عما فعله بحفيده ، حتى صارحه بالحقيقة كلها ، وبما فعله بالطفل .

وحرص الملك عن أن يكتم غيظه وغضبه . وقال : إذن فما زال الطفل على قيد الحياة . إن ذلك من حسن الحظ ، فقد أثار موته حزنى وحزن ابنتى الشديد . حقاً ، لقد لعب الحظ دوراً رائعاً فى الأمر ، والآن اذهب يا هاربا جوس إلى منزلك وابعث بابنك ليكون رفيقاً لحفيدي ، وسأقيم الليلة وليمة كبيرة احتفاءً بنجاة الطفل تكون أنت ضيف الشرف فيها .

وطغى الفرح على هاربا جوس لنجاته من الخطر ، وأسرع إلى منزله حيث أرسل ابنه ، وكان قى فى حوالى الثالثة عشرة من عمره ، إلى قصر الملك . وما كاد الغلام يصل إلى القصر حتى ذبحه الملك ، وقطعه إرباً ، وحر بعض قطع من لحمه ، وسلق البعض الآخر . وعندما تم كل شيء . احتفظ بالرأس والأطراف والأمعاء فى سلة . فلما حان موعد الوليمة وجاء هاربا جوس ومعه بقية المدعوين . لم يقدم لهاربا جوس غير قطع من لحم ابنه ، فأكلها بغير أن يعلم حقيقةا ، وبعدئذ أمر الملك هاربا جوس بأن يرفع الغطاء عن السلة ، وما كاد هاربا جوس يرى رأس ابنه فى السلة حتى تنهد خفية ولكنه ظل رابط الجأش ؛ وعندما سأله الملك عما إذا كان يعرف نوع اللحم الذى أكله أجاب بالإيجاب .

على هذا النحو عاقب الملك هاربا جوس . وبعد ذلك راح يفكر

فما يفعله بحفيده ، فبعث يستدعى المنجمين ، فلما جاءوا قال لهم إن الغلام  
أُفِلت من الموت ، وقص عليهم قصة الدور الذي لعبه الغلام مع أبناء  
القرية ، وعندئذ قال المنجمون أن قيام الغلام بدور الملك في طفولته  
معناه أنه لن يقوم به بعد ذلك ، لأن الحلم تحقق فعلا ولم يعد هناك  
« ما يخشى من الغلام » .

وارتاح لهذا التفسير الذي قدمه المنجمون ليفلتوا بجلدهم . وبعد  
انصراف المنجمين ، استدعى الملك حفيده ، وأرسله إلى والديه في فارس  
وما كاد الأبوان يعلنان أن ابنتهما على قيد الحياة حتى كادا يطيران من  
الفرح . وسألا الغلام عن اسم المرأة التي أرضعته ، فلما عرفاه ، استدعياها  
وعرفا منها القصة كلها ..

وعندما شب سايروس إلى طور الرجل ، اشتهر بالشجاعة وشدة  
البأس ..

وكان هاربا جوس يتحين الفرص للثأر من الملك ، فراح يتودد إلى  
سايروس ، وبدأ يرسم خطته ليكون الانتقام من استياجس على يدى  
سايروس . ولتحقيق مآربه أخذ يتصل بنبلاء ميديا الذين أزعجهم طغيان  
الملك ويغريهم بالانضمام إلى سايروس وخلع الملك . وبعد أن أتم  
هاربا جوس هذه الاستعدادات أراد أن يبلغ رغبته لسايروس الذى كان  
لا يزال يقيم في فارس ، ولكن الطرقات كانت محروسة ، والجواسيس  
منتشرون في كل مكان ، ومن ثم لم يكن مفر من أن يبتكر طريقة تمكنه  
من إيصال رسالة لسايروس ، وأخيراً هداه تفكيره إلى خدعة جهنمية ،



فأحضر أرنوب بر يا فتح بطنه ووضع فيه رسالة مشتملة على جميع تفاصيل  
المؤامرة ، ثم عاد لخاط بطن الأرنوب بعناية ، وعهد لأحد أعوانه المقربين  
بإيصاله بعد أن جعله يرتدى ثياب صياد .

وسارت الأمور وفق ما أشتى هاربا جوس ، وتلقى سايروس الرسالة  
وقد جاء فيها : « إن الله يحميك يا ابن قمين ، وإلا لما أنقذك من المغامرات  
الرهيبية التي مرت بك ؛ وقد حان الوقت لتشار لنفسك من استاياجس ،  
القاتل . تذكر أنه أراد أن يقتلك ، ولكن الله كتب لك النجاة بفضل .  
وما أظنك تجهل ماذا فعل بك ، ولا التنكيل الذي أنزله بي لأنني لم أقتلك  
والآن أصنع لي ، واعتقل ما سأقوله لك وعندئذ ستصبح إمبراطورية  
استاياجس كلها ملكا لك . أشعل نار الثورة في فارس ، ثم ازحف على  
ميديا ؛ وسواء عيني استاياجس قائداً على القوات التي ستقاتلك أم لا ، فإن  
كل شيء سيسير وفق ما تشتهي لأننا سننقم لك بلا ابطاء ، فأسرع .

وعندما تلقى سايروس هذه الرسالة راح يفكر في خير وسيلة تمكنه  
من إقناع الفرس بالانضمام إليه ، وبعد تفكير طويل ؛ كتب ما ظنه مبلغا  
إياه رغبته فرق لفاقة ، ثم دعا الفرس لعقد اجتماع ، وأثناء الاجتماع قضى  
اللفافة وأذاع ما فيها بقوله أن استاياجس عينه قائداً عليهم ، ثم قال أنه  
مادام قد أصبح قائدهم فإنهم يأمرهم بالذهاب واحضار جميع ما في المدينة  
في مناجل . ثم قضى الاجتماع .

وعندما أطاع الفرس أمره ، اختار قطعة من الأرض مساحتها عشرون  
فورلنج مربعا ومغطاة بالاشواك وأمرهم بتنظيفها من كل ما بها قبل انقضاء  
النهار . ففعلوا ذلك . وعندئذ أمرهم بالاستحمام في اليوم التالي والمجيء إلى

نفس المكان . وفي تلك الاثناء جمع كل ما لدى أبيه من قطعان الماعز  
والاغنام بالاضافة إلى ماله من ثيران، ونحرها جميعاً، وأعد وليمة فاخرة  
للجيش الفارسي كله ، وجلب أيضاً كميات كبيرة من الخبز والخمر المعتق،  
وعندما جاء اليوم التالي، وحضر الفرس في الموعد المحدد أمرهم سايروس  
بالجلوس فوق الأعشاب والاستمتاع بالوليمة . وحينما امتلأت بطونهم  
سألهم : « أيهما أحب إلى نفوسهم عمل الامس أم عمل اليوم » ، فأجابوا  
بأن الخلاف بين العاملين كبير بالطبع : فأمس لم يجلب لهم شيئاً ولهذا كان  
يوماً سيئاً . وأما اليوم فكل شيء فيه جميل . . وفي التو استغل سايروس  
اجابتهم وقال لهم : يا رجال فارس ، إذا استمعتم إلى كلامي فستستمعون  
بمئات من هذه الولايم ، وإن تتعبوا أنفسكم في العمل الشاق ، أما إذا  
رفضتم الاستماع إلى فأعدوا أنفسكم لأعمال شاقة كعمل الامس، اتبعوني  
تحرروا ، فأنني أشعر بأن السماء اختارتني لتحريركم ، وأنني لعل ثقة من  
أنكم لا تقلون عن الميديين في شيء . بل تفوقونهم في الشجاعة، فتمردوا  
أذن على استياجس بلا إبطاء .

ولما كان الفرس قد ضاقوا بحكم الميديين . ووجدوا أخيراً زعيماً  
يقودهم ، فقد سرهم الانضمام إليه . وفي تلك الاثناء علم استياجس بما يدبره  
سايروس ، فأرسل يستدعيه ، فقال سايروس للرسول : « قل لاستياجس  
أنني سأتي إليه بسرعة أكثر مما يريد » . وعندما تلقى استياجس هذه الرسالة  
بادر بتسليم الميديين ، ولكنه كان من الجهل بحيث عهد إلى هارباجوس  
بقيادة الجيش ، فلما التقى الجيشان انضم معظم الميديين للفرس ، بينما لاذ  
الباقون بالفرار .

وجز جنون استياجس ، تخرج بمن تبقى لديه من الميديين في المدينة  
وتقابل مع جيش الفرس ، ودارت بين الفريقين معركة حامية انتهت  
بهزيمة الميديين وسقوط ملكهم استياجس أسيراً .

واقرب هارباجوس من الملك الأسير وراح يتشفى فيه ، ويدكره  
بالحم ابنه الذي أرغمه على تناوله .

وهكذا فقد استياجس تاجه بعد حكم دام ثلاثة وثلاثين عاماً ،  
وخضع الميديون لحكم الفرس ، بعد أن ظلت امبراطوريتهم قائمة مائة  
وثمانية وعشرين عاماً .



## الفصل السابع

### ثورة سرديس

على أثر سقوط ميديا في قبضة الفرس أوفد الآيونيون والايوليان اليونانيون رسلا إلى سايروس بسرديس يعرضون عليه ولاءهم على أساس العلاقة التي كانت قائمة بينهم وبين كروسيوس ، وأصغى سايروس إلى مقترحاتهم بعناية ، ثم أجاب عليها بقصة خرافية . . قال : « كان عازف منمار يمشى على شاطئ البحر ذات يوم حينما رأت عيناه مجموعة كبيرة من السمك ، فراح ينفخ لها في منماره متوهما أنها ستخرج له على الأرض ولكنه سرعان ما تبين أنه واهم في ظنه ، فأخرج شبكة وألقاها في الماء فاصطاد السمك . وعندئذ أخذ السمك يثب ويرقص ، ولكن الزمار قال له : كفى رقصاً الآن ، فإنك لم تختَر المجيء والرقص عندما نفخت لك في الزمار ، .

كانت تلك هي إجابة سايروس على رسالة الآيونيين والايوليان لأنه عندما حثهم على الثورة ضد كروسيوس رفضوا الأصغاء إليه ، فلما رأوا أنه أصبح سيد الموقف جاءوا يعرضون عليه خضوعهم .

وما كاد الرسل يتبينون شدة غضب سايروس على شعبهم حتى بادروا بإبلاغ مواطنيهم إجابة سايروس ، تخف هؤلاء لتحصين مدنتهم وعقدوا

الاجتماعات في البانيونيوم حضرها الجميع فيما عدا الميليسيان الذين سبق أن عقدوا معاهدة منفصلة مع سايروس . وقرر الايونيون باجماع الآراء إيفاد رسل إلى اسبارطة يناشدونها العون .

وحينما وصل الرسل إلى اسبارطة، حاولوا اقناع أهلها بتقديم العون لمواطنيهم ، ولكنهم رفضوا ، فاضطر الرسل إلى الرحيل ، ولكن الاسبرطيين أرسلوا قاربا إلى الشاطئ . الاسيوى عليه بعض الاسبارطيين لمراقبة كل من سايروس وأيونيا .

وعند وصول هؤلاء الرجال إلى فوسيه ، بمشوا لأسرنيس . وهو المعبود ، لمنع سايروس من العبث بأية مدينة من مدن اليونان لأنهم لن يسمحوا بذلك ..

ويقال أنه ما كاد سايروس يسمع حديث الرسول الاسبارطى حتى قال : لئن لم أشعر يوماً بالخوف من أحد ، فإذا كتب لى أن أعيش فسيجد الاسبارطيون من متاعبهم ما يستحق الحديث بدلا من أن يتدخلوا في شئون الايونيين ، .

وبعد هذا الحديث غادر سايروس سرديس بعد أن عهد بحكمها إلى تابالوس الفارسى ولكنه عين باكتاياس الليدى لجمع كنوز كروسيوس وغيره من الليديين واللاحاق به ، ثم زحف سايروس بجيشه على أجبثانا آخذاً كروسيوس معه نظراً لأنه لم يكن يعتقد أن الايونيين يستحقون اهتمامه ، فضلا عن أنه كان يعتزم الاستيلاء بنفسه على بابل والبصرة ومصر . ومن ثم عهد إلى أحد قواده بغزو أيونيا .

إلا أنه ما كاد سايروس يغادر سرديس ، حتى راح باكتاياس يبحث  
قومه على الثورة ضد سايروس ونائبه تابالوس ؛ ونظراً لوفرة الكنوز  
والأموال التي كانت تحت تصرفه ، فقد سار باكتاياس إلى البحر وراح  
يستأجر الجنود المرتزقة ويحث قومه المقيمين على الساحل على الانخراط  
في سلك الجيش ؛ وبعدئذ زحف على سرديس ليحاصر تابالوس الذي  
لاذ بالقلعة .

وعندما سمع سايروس بهذه الأنباء وهو في طريقه إلى اجبستانا تحول  
إلى كروسيوس وقال له : أين تعتقد ستنتهي هذه المهازل يا كروسيوس ؟  
يخيل إلى أن الليديين لن يكفوا عن إثارة المتاعب لأنفسهم ولغيرهم  
حتى لينخيل إلى أن أفضل وسيلة لعلاجهم هي بيعهم رقيقاً ، وأدرك  
كروسيوس أن بني وطنه أصبحوا عرضة للخطر الداهم ، فأسرع يقول :  
إن كلماتك طالحة بالحكمة يامولاي ، ولكنني اتضرع إليك إلا تترك  
العنان لغضبك ، وإلا تحكم على مدينة عريقة بالتدمير . ولئن كان  
باكتاياس هو الذي أثار حركة التمرد ، فإن عليه أن يدفع الثمن ؛ فأتوسل  
إليك أن تصفح عن الليديين هذه المرة ، ويكفي أن تجردهم من السلاح حتى  
لا يعودوا للتمرد .

وأنفتأ غضب سايروس ، واستدعى ميديا اسمه مازاريس وعهد إليه  
أن يبلغ الشروط التي عرضها كروسيوس ، وأمره بأن يبيع ، كرقيق ،  
جميع الذين انضموا لليديين في هجومهم على سرويس ، وأن يحضر  
باكتاياس حياً . وبعد أن أصدر سايروس هذه الأوامر استمر في زحفه  
إلى الأراضي الفارسية .



## الفصل الثامن

### سقوط بابل

تتضمن آشور على عدد كبير من المدن الكبرى ، أهمها وأمنعها مدينة بابل التي انتقلت إليها حكومة البلاد بعد سقوط نينوى . وتقع المدينة في سهل فسيح مربع الشكل مساحته أربع مائة وثمانون فورلونج . أما نخامتها فلا تضارعها فيها أية مدينة أخرى . يحيط بها خندق عريض عميق مملوء بالماء ، من خلفه سور عرضه خمسون قدما وارتفاعه مائتا قدم وبهذا السور مائة بوابة كلها مصنوعة من النحاس ( الصب ) . وتنقسم المدينة إلى قسمين يفصلهما نهر الفرات وهو نهر عريض عميق قوى التيار ينبع من أرمينيا . ومعظم منازل المدينة يتألف من ثلاثة أو أربعة طوابق ، ، وجميع شوارعها مستقيمة . ويعتبر السور الخارجى الكبير خط الدفاع الرئيسى عن المدينة . بينما توجد أسوار أخرى داخلية أقل سمكا ومناعة . وفي قلب أحد قسمي المدينة يوجد القصر الملكى يحيط به سور متين جداً ، وفي القسم الثانى يوجد معبد الإله جوبيتر بيلوس .

واقدر حكم هذه المدينة ملوك كثيرون كان كل منهم يساهم بقدر في

تقوية أسوار الدفاع عن المدينة . وسأكتفى هنا بذكر المرأتين اللتين  
حكمتا بابل وكان لهما شأن كبير في تاريخها . كانت أولاهما الملكة  
سميراميس التي ارتقت العرش قبل الملكة الثانية بحوالى خمسين عاما .  
وقد أنشأت ضفتين للنهر في السهل بالقرب من بابل لمنع طغيان النهر على  
المدينة عند فيضانه .

أما الملكة الثانية فاسمها نيتوكريس . وكانت أكثر حكمة وأرجح  
عقلا من الملكة السابقة . ذلك أنها ما كادت تميز ما يتمتع الميديون به  
من قوة وبطش وكيف أنهم استولوا على عدد كبير من المدن من بينها  
مدينة نينوى حتى أيقنت أنهم سوف يهاجمون بابل بدورها ولهذا  
بذلت كل جهد في طاقتها لتحصين المدينة واستكمال الدفاع عن  
إمبراطوريتها . فعمدت إلى إحداث منحنيات في نهر الفرات الذي كان  
يتصف بأنه نهر مستقيم . وأقامت على كل جانب من جانبي النهر ضفة  
عريضة ، ثم حفرت حوضاً ليكون بمثابة ترعة تستمد ماءها من نهر  
الفرات واستخدمت الطمي الذي استخرج من هذه الترعة في إنشاء  
الضفتين العريضتين اللتين أشرنا لهما . وعندما تم حفر الترع أمرت  
بإحضار أحجار ضخمة وضعتها على جوانب البحيرة الكبيرة . وبذلك  
خفت حدة تيار النهر بسبب كثرة الانحناءات التي استحدثت فيه ، والترعة  
الكبيرة التي حفرت على أحد جانبيه ، وكان غرض الملكة من ذلك  
الحيلولة دون اختلاط الميديين بأهل بابل ، ومنعهم من معرفة الأعمال  
التي كانت تؤديها .

ولم تكثف يبتوكريس بالأعمال التي أشرنا إليها، وإنما انشأت قنطرة متحركة على نهر الفرات لتصل قسمي المدينة ببعضهما . ذلك أنه لم تكن هناك أية قنطرة على النهر حينذاك ولهذا كان الانتقال من احد قسمي المدينة إلى القسم الآخر يتم بواسطة القوارب وهو أمر متعب للغاية نظراً لقوة تيار النهر

\* \* \*

وعندما ماتت هذه الملكة العظيمة، خلفها على العرش ابنها لابيتوس الذي شن سايروس حملته على بابل في عهده

\* \* \*

عندما زحف سايروس على بابل ، اعترضه نهر قندير ، وهو نهر يتصف بشدة التيار بحيث يتعذر عبوره حتى بالقوارب .

ولم تفت هذه العقبة في عضد سايروس، فأمر جيشه بحفر مائة وستين قناة جانبية لتخفيف قوة التيار، واستطاع الجيش اتمام هذه العمل في النهاية، ولكن بعد انقضاء فصل الصيف وهو أصلاح الفصول للأعمال الحربية .

وعندما بدأت بشائر الربيع التالي استطاع سايروس أن يعبر النهر بجيشه ، وتقدم من بابل . وكان جيش الفرس ينتظر الغزاة خارج أسوار المدينة ، فالتحم معهم في معركة عنيفة، ولكن الدائرة دارت على الفرس ، فاضطروا إلى التراجع والاعتماد بالمدينة بعد أن أغلقوا أبوابها . وانصرفوا إلى أعمالهم العادية لشدة وثوقهم من مناعة تحصينات مدينتهم ، ولأنهم



اختزنوا فيها مؤناً تكفيهم سنوات كاملة لما كانوا يترقبونه من مهاجمة  
سايروس لمدينتهم .

وتماكنت الحيرة سايروس ، وازداد قلقه نظراً لأنه لم يستطع  
إحراز أى نجاح ضد المدينة برغم انقضاء وقت طويل على حصارها ..  
وهنا خطرت له فكرة ، أم لعل أحداً أشار عليه بها فعمد إلى تنفيذها  
بلا إبطاء .. وضع قسماً من جيشه عند نقطة دخول نهر الفرات إلى المدينة  
ووضع القسم الآخر عند النقطة التى يخرج النهر فيها من المدينة . وأمر  
قواته بالسير فى مجرى النهر عندما يصبح مائوه ضحلاً بدرجة كافية ،  
أما هو فأخذ معه بعض فرق الجيش ومضى إلى النقطة التى سبق أن  
أن حوالت نيتوكريس مجرى النهر إليها عندما أرادت إنشاء قنطرة على  
النهر ، وفعل ما فعلته نيتوكريس من قبل إذ حول مجرى النهر بحفر قناة  
جانبيه جعلت مجرى النهر ذاته يصبح مخاضة سهلة العبور . وعلى أثر ذلك  
استطاع القسمان اللذان كانا ينتظران عند مدخل النهر إلى المدينة ومخرجه  
منها أن يخوضوا النهر ويدخلوا المدينة بغير أن يشعر أحد بهم .

وهكذا سقطت مدينة بابل المنيعه فى أيدي الفرس بغير أن يرفع  
أحد سلاحه للدفاع عنها ..

## الفصل التاسع

### مصر

على أثر موت سايروس ارتقى العرش ابنه قمبيز الذى أنجبه من الملكة كاساندانيه ابنة فارناسب . وقد مات كاساندانيه فى عهد سايروس فحزن عليها حزنا عظيما ، وأمر جميع رعاياه بأن يحذرو حذوه فى الحزن عليها . ونظراً لأن قمبيز كان يعتقد أن الايونيين والايوليان أعداء لآبيه فقد أخذهم معه فى حملته على مصر ، مع الشعوب الأخرى التى اصطحبها معه .

\* \* \*

وهنا لابد لنا من كلمة عن مصر فى ذلك العهد . .

قبل حكم الملك بسماتيك كان المصريون يؤمنون بأنهم أقدم شعوب الأرض قاطبة . ولقد بذل بسماتيك محاولة للتأكد من ذلك ، ولكن هذه المحاولة أثبتت أن الفرجانيين هم أقدم شعوب العالم .

ولكن المصريين كانوا أول من اكتشف السنة الشمسية وهم الذين قسموها إلى اثني عشر قسماً وقد اكتسبوا هذه المعرفة من النجوم

ونظراً لاختلاف مناخ مصر عن مناخ جميع بقاع الأرض، وانهارها عن جميع أنهار العالم، فإن سكانها يختلفون فى أخلاقهم، وعاداتهم وصفاتهم.

عن جميع الشعوب الأخرى ؛ فالنساء يذهبن إلى الأسواق ويتاجرن، بينما يبقى الرجال للعمل بالمنزل ، وبينما تحمل النساء الأشياء فوق أكتافهن . فإن الرجال يحملونها فوق رؤوسهم ، وهم يتناولون الطعام في الشوارع خارج المنازل ، ولكنهم يصرفون شئونهم الخاصة على حدة بداخل المنازل . ولا يسمح للنساء بأداء أعمال الكهنة سواء في معابد الآلهة الذكور أو الآلهة النساء ، وإنما يقتصر هذا العمل على الرجال وحدهم ؛ ولا ينفق الأبناء على الآباء إلا إذا أرادوا ذلك ، وأما البنات فلزومات بالانفاق على أبوين طوعية أو كراهية .

والكهنة في الدول الأخرى شعور مرسلّة، ولكنهم يخلقون رؤوسهم في مصر . وعندما يموت أحد أقارب المصري فإنه يرسل لحيته ويترك شعر رأسه ينمو طويلا . وهم أول شعب في العالم عرف الختان ، وحينما يكتبون أو يحيون فانهم يحركون أيديهم من اليمن إلى اليسار ، ولهم نوعان من الكتابة أحدهما مقدس والآخر عام .

والمصريون مفرطون في التدن أكثر من أي شعب آخر ، ويرتدون ثياباً من الكتان الأبيض النظيف . ويحلق الكهنة شعر أجسامهم يوماً بعد آخر بدافع النظافة ، ويستحمون مرتين يومياً بالماء البارد ومرتين كل ليلة ..

ولقد قال لي كهنة مصر أن مينا كان أول ملك حكم مصر ، وأنه هو الذي أنشأ ضفتين لحماية مدينة ممفيس من غوائل الفيضان ؛ فقبل عهده



كان فيضان النيل يطغى على التلال الرملية التي تحد مصر من ناحية ليبيا  
وعندما أقام الضفتين عند المنحنى الذى يتكون جنوب ممفيس بحوالى  
مائة فورلونج جفف المجرى القديم وأنشأ مجرى جديداً يتوسط خطى  
التلال الجانبين .

وقد حكم ثلثمائة وثلاثون ملكاً مصر بعده . وقال لى الكهنة أنه كان  
من بين هؤلاء الملوك ثمانية عشر من الاثيوبيين وملكة مصرية واحدة  
أما بقية الملوك فكانوا من المصريين ؛ وكانت الملكة تحمل نفس اسم ملكة  
بابل نيتوكريس ، وقيل أنها اعتلت العرش بعد أخيها الذى كان ملكاً على  
مصر فقتله الشعب ونصبها ملكة عليه . واقد قررت نيتوكريس أن تثار  
لاخيها ، ورسمت لذلك خطة ماكرة أبادت بها عدداً كبيراً من المصريين  
ذلك أنها أنشأت صالة كبيرة جداً تحت الأرض وتظاهرت بأنها ستقيم  
حفلاً لافتتاحها . ودعت لهذا الحفل جميع من كانت تعرف أنهم اشتركوا  
فى الأمر على أخيها وقتله . وبينما كان المدعوون منهمكين فى تناول الطعام  
فتحت الملكة قناة سرية كبيرة فتسرب منها ماء النهر وأغرق جميع من فى  
القاعة . وبعد أن تم لها الثأر لاخيها تطهرت من الاثم الذى ارتكبته بالقام  
نفسها فى كومة من الرماد .

وخلفها كثيرون من الملوك الذين لم يصيبوا أى خط من الشهرة ،  
إلى أن تولى العرش الملك سينوستريس ، وكان أول ما فعله هو أن سير  
اسطولاً من السفن الحربية من الخليج العربى على طول بحر ارتريا ، وكان  
ينخضع الشعوب التى يمر بها إلى أن وصل فى النهاية إلى بحر تتعذر الملاحة

عقبة بسبب قلة غوره ، فعاد إلى مصر حيث حشد جيشاً جراراً وزحف  
براً عبر القارة خاضعاً كل دولة توجد في طريقه . وكان كلما صادف شعباً  
عنيداً يشتبك معه في القتال ، ويقاتله ببسالة دفاعاً عن حريته ، يقيم أعمدة  
في بلاده يحفر عليها اسمه واسم بلاده ، وكيف أنه جاء إلى هذه البلاد  
وأخضع أهلها بقوة السلاح ، أما إذا استسلم الشعب بلا مقاومة فإنه  
- أي سيزوستريس - كان يقيم الأعمدة ويحفر عليها - بالاضافة إلى تلك  
المعلومات - رمزاً معيناً يدل على أن هذا الشعب شعب من النساء مجرد  
من الصفات العسكرية .

ولقد اختلفت الأعمدة التي أقامها سيزوستريس في الدول التي أخضعها  
كلها تقريباً ، ولكنني رأيت بعضها بنفسى في ذلك الجزء من سوريا  
المعروف بفلسطين ، ولاحظت الرمز بوضوح .

وقال لي الكهنة المصريون أنه عند عودة سيزوستريس إلى مصر ومعه  
جماهير كبيرة من الدول التي أخضعها ، استقبله أخوه الذي كان الملك قد  
عينه نائباً عنه لحكم البلاد أثناء غيبته ، ودعاه إلى وليمة حضرها هو وزوجته  
وأولاده . وعُمد الأخ إلى تكديس كومة كبيرة من الأخشاب حول  
البناء الذي أقيمت المأدبة فيه ، ثم أشعل فيها النار . وعندما اكشف  
سيزوستريس ما حدث ، تشاور مع زوجته في الحال ، فنصحتة بأن يضع  
اثنين من أولادهما الستة كمنطرة فوق النار يعبرها الباقون إلى الخارج  
ونفذ الملك نصيحة زوجته ، فاحترق اثنان من أبنائه ونجا الباقون ، وبعدئذ  
عاد الملك إلى قصره ، وثأر من أخيه . . وبعد ذلك عمد إلى استخدام

عشرات الألوف من الأسرى فى حفر شبكة القنوات المائية الكبيرة الموجودة الآن فى مصر ، وبذلك استطاع تغيير وجه البلاد . . وكانت غايته من ذلك إمداد سكان المدن البعيدة عن مجرى نهر النيل بالماء العذب بعد أن كانوا يشربون ماء الآبار .

ويقال أن سيزوستريس وزع الأراضى الزراعية على السكان ، بعد أن قسمها إلى أجزاء مربعة متساوية المساحة . وكان يحصل على الجزء الرئيسى من دخل إيجار هذه الأراضى عاماً بعد عام . وكان إذا اتفق وطغى النيل على جزء من أراضى أحد المواطنين ، ذهب هذا المواطن إلى الملك وقص عليه ما حدث . وكان الملك يرسل حينذاك أشخاصاً للتأكد من الحقيقة وقياس القطعة التى أزالها النهر ومدى خسارة صاحبها ثم يخفض المطلوب منه تبعاً لقيمة الخسارة . ولهذا فأنى أعتقد أن المصريين كانوا أول شعب عرف علم الهندسة الذى انتقل بعدئذ إلى اليونان. أما المزولة فاعتقد أن اليونان تلقوها عن البابليين .

ولم يكن سيزوستريس ملكاً على مصر فقط ، وإنما كان ملكاً على أثيوبيا أيضاً ، وكان هو الملك المصرى الوحيد الذى حكم تلك البلاد ، وبخلاف فيها - تذكراً لحكمه - تماثيل حجرية هائلة أمام معبد فالكان . ولقد حاول داريوس - بعد ذلك بسنوات طويلة إزالة هذه التماثيل لموضع تماثيله فى مكانها ولكن كهنة المعبد منعوه من ذلك قائلين أن سيزوستريس المصرى نجح فى إخضاع الاسقوثيين ، أما هو ففشل فى ذلك وعمل أثر موت سيزوستريس ، خلفه على العرش ابنه فيرون . ولم



يكن رجلاً عسكرياً نظراً لأنه أصيب بالعمى بسبب الظروف التالية .  
كان النيل قد بدأ يفيض كالعادة ، وكان الفيضان مرتفعاً جداً ، فغمر  
الحقول بالماء ، وغضب الملك ، فالتقط رمحاً وقذف به بعنف في مجرى  
النهر ، وفي التو أصيب بمرض في عينيه ، وبعد فترة فقد قوة إبصاره .  
واستمر ضريباً عشر سنوات ، وأخيراً ، وفي العام الحادى عشر وصلته  
نبوءة من باتو تقول : إن فترة عقوبته قد انتهت ، وأنه يستطيع أن يستعيد  
بصره إذا غسل عينيه ببول امرأة حافظت على إخلاصها لزوجها ، ولم  
تفضل عليه رجلاً آخر . ومن ثم بادر الملك فغسل عينيه ببول زوجته ، فلم  
يرتد إليه بصره ، فمضى في التجربة باستخدام بول نساء أخريات ، إلى  
أن شفاه بول احدها في النهاية . وعندئذ أمر بجمع جميع النساء اللاتي  
لم يشفهن بولهن ، بما فيهن زوجته ، وأحرقهن جميعاً ، ثم اتخذ من المرأة  
التي شفاه بولها زوجة له ..

## الفصل العاشر

### قصة رعمسيس

عندما مات بريثوس ، خلفه رعمسيس على العرش . وقد أقام بعض الآثار من بينها البوابة الغربية بمعبد فالكان ، والتمثالان اللذان يقفان أمام هذه البوابة . ولقد قال لي الكهنة إن الملك رعمسيس كان يملك ثروة هائلة لم يدانيه فيها أحد من سبقوه ، ولكي يحافظ على هذه الثروة الهائلة ، قرر أن ينشئ فرقة كبيرة من الأحجار المنحوتة، على أن يكون أحد جدرانها جزءاً من جدار قصره الخارجي . وبعد أن اطلع البناء على التصميم ، قرر هذا أن يضع في هذا الجدار حجراً يستطيع رجلان أن يرفعا من مكانه بسهولة . وعندما تم إنشاء هذه الغرفة ، نقل الملك كنوزه وثروته إليها . ومرض ، وأصيب البناء بمرض ، ولما أحس أن نهايته قد دنت استدعى ولديه ، وقص عليهما قصة الحجر المتحرك في غرفة كنوز الملك، وحدد لها موقعه بالدقة ، وأمرهما بالاحتفاظ بالسرايا إلى أن يموت ، وبعدئذ يمكنهما أن يصيبا من ثروة الملك ما يريدان . وقد كان . فلما مات البناء ، ذهب ابناه إلى الغرفة السرية ، واستوليا على مبلغ كبير من المال المحفوظ بها .

وحيثما زار الملك غرفة كنوزه ، دهش عندما لاحظ أن المال الموجود في بعض الآنية نقص كثيراً ، ولكنه لم يستطع أن يركز ريبته في أحد لأن اختتام الغرفة سليمة ومتاريسها في حالة جيدة . ومع ذلك فإنه يلاحظ ، كلما زار الغرفة ، توالى نقص الأموال المحفوظة بها . والواقع أن اللصين لم يكفوا عن السرقة ، وأخيراً قرر الملك أن ينصب بعض الفخاخ بالقرب من أوعية حفظ النقود . فعندما جاء اللسان لمعاودة السرقة ، سقط أحدهما في أحد تلك الفخاخ . وحيثما أدرك أنه من الهالكين ، نادى أخاه ، وحدثه بما وقع له ، وناشده أن يبادر بقطع رأسه وأخذها معه حتى لا يعرف الملك شخصيتهما فيقضى عليهما معاً . وتحت ضغط الظروف وافق الأخ على فصل رأس أخيه عن جسده . ثم أخذها معه إلى المنزل .

وفي فجر اليوم التالي ، جاء الملك إلى الغرفة . فأدهشه أن يجد جثة اللص في الفخ بدون رأس ، بينما المزاليج والاختتام سليمة . وأمر الملك بتعليق جثة اللص في الساحة . وعين عدداً من جنوده لمراقبة أى شخص يقترب منها والقبض عليه إذا تبين من تصرفاته أنه يعرف صاحب الجثة وعندما سمعت أم اللص بعرض جثة ابنها ، آلمها ذلك أشد الألم وراحت تحت ابنها الثاني ليستعيد الجثة . وهددته بفضح أمره إن لم يفعل .

وأسقط في يد اللص الثاني ، وأخيراً رضخ لطلب أمه ، وراح يفكر في وسيلة تمكنه من الاستيلاء على جثة أخيه بغير أن يضبطه الحراس . وأخيراً هداه تفكيره إلى الحيلة التالية : وضع قربتين أو ثلاث مملوءة



بالنيذ فوق الحير ، وقادها أمامه نحو المكان الذى يوجد الحرس به .  
وتظاهر بأنه يعيد توازن بعض القرب ، وخفف رباطها ، فبدأ النيذ  
ينسكب على الأرض . وهنا أخذ اللص ياطم رأسه بيديه ، ويصرخ .  
وعندما رأى الحرس النيذ ينسكب على الأرض فرحوا وتهللوا ، واندفع  
كل منهم نحو الحير وهو يحمل وعاء ليلأه بالنيذ . فتظاهر اللص  
بالغضب وراح يشتمهم . فبذلوا قصارى جهدهم اتهدته ثأثرته ، إلى أن  
هدأ . وقاد اللص حميره إلى جانب الطريق ، وتظاهر بأن يعيد تنظيم  
القرب ، وفى الوقت ذاته راح يثرثر مع الحراس إلى أن اطمأنوا إليه  
فدعاهم لشرب بعض الخمر فوافقوا شاكرين ..

وحينما لعبت الخمر برؤوس الحراس غلبهم النعاس على أمرهم ،  
وتريث اللص إلى أن أظلمت الدنيا ثم نقل الجثة إلى المنزل

ولما عرف الملك نبأ سرقة جثة اللص تملكته الحيرة والغضب ،  
فقرر اقتناص هذا اللص الذكى مهما كلفه ذلك من ثمن .. فأرسل ابنته  
إلى المواخير العسامة ، بعد أن أمرها باستقبال أى زائر ، وأن تطلب  
إليه أن يحدثها عن أمر عمل وأرذل عمل أتاه فى حياته . فإذا حدثها  
أحدهم بقصة اللص ، فعليها أن تستبقيه وألا تسمع له بالانصراف .  
ونفذت الابنة أمر أبيها ، وما كاد اللص يسمع القصة حتى فطن إلى سببها  
فقرر أن يتحدى ذكاء الملك ورسم لذلك خطة : حصل على جثة رجل  
مات حديثاً وقطع أحد ذراعيه من عند الكتف وخبأه تحت ردائه .

ثم ذهب لزيارة بنت الملك . فعندما ألقيت عليه السؤال المعهود ،

أجاب بأن أفضع عمل ارتكبه هو قتل أخيه وفصل رأسه عن جسده .  
عندما سقط في فخ نصبه لى الملك فى غرفة كنوزه ، وأنه استطاع أن  
يسخر من حرس الملك ويسرق جثة أخيه . وما كادت ابنة الملك تسمع  
ذلك حتى تماقت به ، إلا أنه كان قد انتهز فرصة ظلام الغرفة ، وقدم  
لها ذراع الميت . فامسكت بها بعنف . بينما لاذ هو بالفرار .

وما كاد الملك يسمع نبأ خدعة اللص الجديدة حتى أكبره . فبعث  
رسلا إلى جميع المدن يعد فيها بالعفو عن اللص ومنحه مكافأة ضخمة .  
إذا كشف عن شخصيته .. فاستغل اللص وعد الملك وتقدم إليه بشجاعة .  
وأعجب رعمسيس بذلكاء اللص وسعة حياته . فعفا عنه وزوجه ابنته ..

ولقد قال لى الكهنة أن المصريين تمتعوا برخاء كبير أثناء حكم رعمسيس .  
ولكن خليفته كان رجلا شريرا ، فأغلق المعابد ومنع المصريين من تقديم  
القرابين والذبايح للآلهة . وسخرهم فى بناء الأهرامات .. فلما مات وتولى  
ابنه العرش ، أعاد فتح المعابد ، وأزال كل معالم الظلم والكبت التى اتسم  
بها حكم أبيه ..

## الفصل السحادي عشر

### قمبيز

توالى الملوك على مصر ، إلى أن اعتلى عرشها الملك أمازيس ..

وفي عهد هذا الملك سير الملك قمبيز ابن سايروس حماته على مصر التي أشرنا إليها في مستهل الفصل التاسع . وكان جيش قمبيز مؤلفاً من جنسيات مختلفة تنتمي إلى الدول التي أخضعها لحكمه ، ومنهم الآيونيون والآيوليك اليونانيون . أما سبب الغزو ، فهو أن قمبيز أرسل للملك أمازيس - بناء على نصيحة رجل مصري غاضب على أمازيس لأنه جرده من زوجته وأولاده ونفاه إلى فارس - يطلب يد ابنته ، فلما صرح الرسول الملك أمازيس برغبة الملك قمبيز تملكته الحيرة الشديدة ، فقد كان يخشى قوة الفرس المتزايدة ، ولم يدر هل يوافق على هذا الزواج أم يرفضه ، لأنه كان واثقاً من أن قمبيز لن يتقبل ابنته كزوجة ولكن كمحظية وأخيراً استقر رأيه على أن يرسل له الأميرة تيتيتيس ابنة الملك المتوفى أبريس ، وهي امرأة طويلة القامة ، رائعة الجمال ، كانت آخر الأحياء من أسرة أيها . وجاء أمازيس بهذه المرأة ، وألبسها أنحر الثياب ، ومنحها حلياً وجواهر ثمينة ، ثم أرسلها إلى فارس كما لو كانت ابنته ، وعندما استقبلها قمبيز وناداهما باسم أيها قالت له : « مولاي يبدو لي أنك لم تظن إلى



الخدعة التي دبرها لك أمازيس . وقصت عليه ما فعله أمازيس ، فثارت  
ثائرة قمبيز ، وسير جيوشه لغزو مصر . .

تلك هي قصة غزو مصر كما ردها الفرس ، إلا أن هناك قصة أخرى  
تقول أن أحد جنود أمازيس المرتزقة ، وكان اسمه فينس ، وكان مقاتلاً  
باسلاً ، شديد الحكيم ، اختلف مع مولاه ، فهاجر خدمته ، وهرب إلى  
فارس في الوقت الذي كان قمبيز يفسر فيه في الهجوم على مصر . فأفضى  
إليه بمعلومات ثمينة ونصحه بسلوك الصحراء .

وأوفد قمبيز رسولا لملك بلاد العرب يستأذنه في التصريح له بعبور  
الصحراء بجيشه . فوافق ملك العرب على ذلك ، وتعاهد هو وقمبيز على  
الاحلاس للوعد .

واتفق أن مات أمازيس في تلك الأثناء ، وارتقى ابنه بسامنيثوس  
عرش مصر ، وحينما سمع بقدم قمبيز لغزو بلاده حشد جيشه لملاقاته . .

وعبر الفرس الصحراء ، وأقاموا معسكرهم بالقرب من معسكر الجيش  
المصري الذي أقيم في مكان قريب من النيل اسمه بليوسياك . وكان  
المرتزقة في جيش مصر قد غضبوا لخيانة زميلهم قنيس ، ولما كان هذا  
قد خلف أولاده في مصر ، فقد أحضروهم إلى معسكر الجيش المصري  
وقتلوهم أمام عيني أبيهم ، ثم اشتبكوا مع الفرس في قتال عنيف ، أسفر  
عن سقوط ضحايا كثيرة من الجانبين ، وأخيراً انهزم المصريون . .

ولقد رأيت منظراً عجيباً في المكان الذي دارت فيه رحى المعركة .  
كانت عظام القتلى مبعثرة في كومتين على أرض ساحة القتال ، احدهما  
- وهي عظام جنود الفرس - في جانب ، والاخرى - وهي عظام جنود  
مصر - في الجانب الآخر . وقد تديننت ظاهرة غريبة ، فلو أنك أمسكت  
بحجر وضربت به جمجمة أحد جنود الفرس لتشمت على الفور . أما  
جماجم الجنود المصريين فكانت من الصلابة بحيث يتعذر تحطيمها وقد  
قيل في تحليل ذلك إن المصريين يحلقون رؤوسهم في مرحلة مبكرة من  
الطفولة ، وهكذا فإن تأثير الشمس على العظام يكسبها صلابة . وهذا  
السبب نفسه يقلل من حالات الصلع بين المصريين عنها في أية دولة  
أخرى . وهذا هو السبب في صلابة جماجم المصريين . أما الفرس فيرسلون  
شعورهم ويرتدون عباثهم ولهذا تكثر بينهم حالات الصلع ، وتكون  
جماجمهم هشة .

ما كاد المصريون يهزمون حتى تراجعوا إلى ممفيس حيث تحصنوا  
بداخل أسوارها ، فأوقف قميز رسولا عن طريق النهر يدعوهم للتسليم ،  
وما كاد المصريون يرون الرسول حتى تدفقوا من القلعة ودمروا السفينة  
التي كان يركبها ومزقوا بحارتيها إرباً إرباً ، فحاصر قميز مدينة ممفيس إلى  
أن استسلمت له ، وهنا خاف الليبيون على مصير بلادهم المتاخمة لمصر .  
فسلموا لقميز بلا قتال . وقبلوا دفع جزية كبيرة ، كما أرسلوا له هدايا  
كثيرة .

وبعد سقوط قلعة ممفيس بعشرة أيام ، أراد قمبيز أن يختبر روح  
بسامنيتوس ملك مصر الذى لم يكن قد انتضى على ارتقائه العرش أكثر  
من ستة أشهر ، فأمر بوضعه فى أحد الضواحي ومعه كثيرين من  
المصريين ، وعرضه للاهانة .

فبدأ بأن أخرج ابنة الملك فى المدينة وهى مرتدية ثياب الرقيق ،  
وتحمل جرة لتألاها ماء . وكانت برفقتها كثيرات من العذارى بنات  
النبلاء وهن يرتدين ثياباً بمائلة .

وعندما وصلت الفتيات إلى المسكان الذى احتجز فيه آبأوهن ،  
انفجرن نائحات باكيات ، فبكى جميع النبلاء وناحوا بدورهم ، أما الملك  
فلم يذرف دمعاً واحدة ، وإن خفض رأسه إلى الأرض . وبعد مرور  
موكب الفتيات ، جاء ابن الملك ومعه ألفان من الشبان المصريين فى مثل  
سنه وقد لفت الحبال حول أعناقهم ، ووضعت كمامات على أفواههم ،  
وكانوا جميعاً فى طريقهم للإعدام انتقاماً للرسول الذى قتل المصريين .  
ورأى الملك بسامنيتوس ابنه وهو يساق إلى الموت .

ولكنه ظل رابط الجأش برغم العويل والنحيب الذى ارتفع من  
حواله . وبعد مرور هذا الموكب رأى الملك الأسير رجلاً عجوزاً كان  
صديقاً مقرباً إليه وقد تجرد من ثيابه وراح يستجدى .

وهنا انفجر بسامنيتوس باكياً : وحينما أبلغ الأمر لقمبيز تولته  
الدهشة . وأرسل من يسأل بسامنيتوس عن سر تصرفه هذا فأجاب



الملك الأسير : ديا ابن سايروس ، لقد جل خطي على البكاء . ولكن  
مصير صديقي يستحق هذا البكاء .

فحينما ينحدر رجل من مكانة مرموقة إلى الحضيض بحيث يضطر  
للاستجداء ، فإن الإنسان لا يملك إلا أن يبكي من أجله . . . . . وعندما  
أبلغ هذا الرد لقمبيز رق قابيه ، وأصدر أمره بالعفو عن أبناء بسامينيتوس  
وبناته وأمر باحضار الملك الأسير إليه .

ولكن الرسل تأخروا ، فأدى ذلك إلى قتل ابن بسامينيتوس . ولكنهم  
أحضروا الملك نفسه أمام قمبيز الذي سمح له بالإقامة معه . وعامله بالحسنى  
جريا على مآثور عادات الفرس .

## الفصل الثاني عشر

### أعمال قمبيز

وبعد سقوط مصر قرر قمبيز القيام بثلاث حملات ، أحداها ضد القرطاجنيين ، والثانية ضد الآمونيين ، والثالثة ضد الاثيوبيين الذين كانوا يقيمون في ذلك الجزء من ليبيا المتاخم للبحر الجنوبي . ورأى أن خير ما يفعله هو أن يرسل أسطوله ضد قرطاجنة ، وأن يرسل جزءاً من جيشه البري لمهاجمة الآمونيين ، بينما يذهب جواسيسه إلى اثيوبيا بدعوى تقديم هدايا لملكها ، وإن كانت مهمتهم الأساسية ملاحظة كل ما تقع عليه عيونهم .

وبينما كان قمبيز يعمل على إيجاد بعض من يلبون باللغة الاثيوبية لمرافقة رسله ، أصدر أمره للأسطون بالإبحار لغزو قرطاجنة ، ولكن الفينيقيين رفضوا الانصياع لهذا الأمر قائلين إنهم قرطاجنيون أصلاً وبذلك عجز بقية رجال الأسطول عن تسييره . وبذلك أفلتت قرطاجنة من استعباد الفرس لها .

وعندما عثر قمبيز على الرجال الذين يعرفون اللغة الاثيوبية ، أفضى اليهم قمبيز بما يريد منهم أن يبلغوه لملك اثيوبيا ، وحملهم بالهدايا التي يريد تقديمها اليه .

وحينما وصل الوفد إلى أثيوبيا ، قدم الهدايا التي معه لملك البلاد ، وقال له رؤسائه : « لقد أوفدنا قميز ملك الفرس اليك لنبلغك رغبته في أن يصبح صديقك وحليفك ، وعهد اليك بالتفاوض معك في هذا الشأن وبتقديم هذه الهدايا تأكيداً لرغبته هذه . ولما كان ميرون الأثيوبي يعلم أنهم قادمون للتجسس ، فقد أجاب بقوله : « إن ملك الفرس لم يرسلكم بهذه الهدايا لأنه يرغب فعلاً في أن يصبح صديقاً حميلاً ، وإنما أرسلكم لتقصي شئون بلاده . ثم أن ملككم ليس رجلاً عادلاً ، وإلا لما اغتصب أرض غيره ، ولما فرض الذل والعبودية على شعب لم يخطيء في حقه . فخذوا له هذا القوس ، وقولوا له ... »

إن ملك أثيوبيا ينصح ملك فارس - بأنه حينما يستطيع الفرس أن يطلقوا السهام القوية كهذا السهم بمثل هذه السهولة ، فلا بأس عليه أن يأتي ومعه جيش يتمتع رجاله بقوة خارقة ليقابل شعباً عريقاً - وإلى ذلك الحين ، يحسن بتميز أن يشكر الآلهة لأنها لم تدخل في عقول الأثيوبيين فكرة الاستيلاء على بلاد ليست لهم ، ... »

وما كاد ينتهي من حديثه حتى قدم القوس لأعضاء الوفد .

وأكرم ملك أثيوبيا وفادة الرسل ، وأطلعهم على كثير من غرائب بلاده ثم طالب اليهم العودة إلى مصر .

وعندما عاد الجواسيس إلى مصر ، وقدموا تقريرهم لقميز استولى عليه غضب جاثج . وبادر فعباً جيشه ، وزحف به لغزو أثيوبيا ، بغير أن يتخذ الحيلة لتموين جيشه بالموثون ، أو يفكر في أنه ذاهب لغزو بلاد



ثانية جدا . ولكنه لم يصحب اليونانيين معه واكتفى بالقوة البرية . وعندما مر بطيبة ، ترك خمسين ألف جندي من جيشه الرئيسي لمهاجمة الآمونيين بعد أن أمرهم بأسرهم وإحراق معبد جوبيتر . واستمر هو في الزحف مع بقية جيشه . وقبل أن يقطع خمس المسافة إلى أثيوبيا نفذت مؤن جيشه ، وبدأ الجيش يقتات الحيوانات الضارية ؛ ولو كان قبيز حكيما لمعاد بجيشه إلى مصر ، ولكنه لم يبال بما بدأ يصادفه من صعاب واستمر في الزحف ، فاضطر جنوده إلى أكل الأعشاب والحشائش حتى لا يهلكوا جوعاً . وما لبث الجيش أن وصل إلى منطقة رملية لاحياة فيها . فأقدم رجاله على عمل ينفر منه الآدميون . بدأ بعضهم يتراهنون ، فمن خسر الرهان . قتله زملاؤه وأكلوا لحمه مع زملائهم ، وعندما سمع قبيز بهذه الأعمال ركب الفزع ، وقرر العدول عن غزو أثيوبيا : فسلك في تراجعه الطريق الذي سلكه عند قدومه بعد أن فقد أعدادا هائلة من جنوده ، فلما بلغ ممفيس سمح لليونانيين الذين كان قد استبقاهم بالعودة إلى بلادهم . وبهذا فشلت حملته على أثيوبيا .

أما الحملة ضد الآمونيين فبدأت رحلتها عن ممفيس إلى الواحات التي يسكنها الساميون . وتبعد هذه الواحة مسافة طويلة عن طيبة يستغرق قطعها مسيرة سبعة أيام عبر أرض رملية يطلق عليها باغتتا . جزيرة المباركين ، . ومن عجب أن الحملة التي خرجت للزحف على طيبة اختفت في الطريق ولم يسمع أحد عنها شيئاً بعد ذلك .

ويقول الآمونيون في تفسير ذلك أنه ما كادت الحملة تتوسط الطريق

حتى هبت عاصفة قاتلة من الجنوب اختفى الجيش كله بين دواماتها الرملية  
فهلك رجاله جميعاً

وحوالى هذا الوقت وصل قمبيز إلى ممفيس ، وظهر (أبيس)  
للمصريين ، وما كاد هذا الإله يظهر حتى ارتدى المصريون أحسن  
ثيابهم وراحوا يحتفلون بالمناسبة السعيدة . فاغتاز قمبيز لذلك واستدعى  
الضباط المسئولين عن المدينة ، وأخذ يستجوبهم فى السر فى فرح المصريين  
بعد عودته من رحلته العاشلة وضياح معظم قواته ، فأجاب الضباط بأن  
المصريين مهملون لأن إلهاً من آلهتهم ظهر بعد طول احتجاب ؛ وحينما  
سمع قمبيز ذلك قال لهم أنهم كاذبون ، وماداموا كاذبين فقد حق عليهم  
جميعاً الموت

ولمّا قتل قمبيز الضباط استدعى الكهنة وألقى عليهم السؤال نفسه فتلقى  
منهم الإجابة ذاتها وعندئذ أمرهم باحضار أبيس إليه ؛ فذهبوا لاحتضاره ؛  
وكان هذا الإله عجلاً ولدته بقرة لم تنجب بعده شيئاً ، ويقول المصريون  
القدماء إن ناراً أنزل من السماء على هذه البقرة فيجعلها تحمل أبيس .  
وكان أبيس أسود اللون ، فى جبهته نقطة بيضاء ، وعلى ظهره رسم نسر ،  
وشعر ذيله مزدوج

وعندما عاد الكهنة ومعهم أبيس ؛ جن جنون قمبيز ، واستل  
خنجره وهوى به على بطن الحيوان ولكنه أخطأه وأصاب فخذه .  
وعندئذ ضحك وقال للكهنة :

« أيها الحق ، هل تظنون أن الآلهة من لحم ودم ! لكنكم ستدفعون  
الثن غالباً لأنكم سخرتم منى ،

ثم أمر بعض ضباطه بجلد الكهنة وقتلهم إذا استمر المصريون في احتفالاتهم وابتهاجهم . وهكذا أوقفت هذه الحفلات في طول البلاد وعرضها ، بينما جلد الكهنة . أما أبيس فظل جريحاً في معبده فترة من الوقت ثم نفق ، قد فنه الكهنة سرّاً بغير علم قميز .

ولقد كان المأثور عن قميز أنه مصاب بخلل عقلي . ولكن المصريين يقولون أن جنونه ازداد منذ ذلك الحين . وكان أول عمل جنوني أقدم عليه هو قتل أخيه سمرديس الذي كان قد أعاده إلى فارس بدافع الغيرة ، وذلك لأنه استطاع أن يشد القوس الذي أرسله ملك أثيوبيا ( والذي فشل جميع الفرس في شده ) مسافة لا تزيد على إصبعين . وكان قميز قد علم - بعد رحيل أخيه إلى فارس - أن رسولا جاءه من فارس وقال له أن سمرديس اعتلى العرش هناك وقد بلغ رأسه عنان السماء ١١ .

وهنا استبد الخوف بقميز خشية أن يسعى أخوه لقتله والتخلص منه - فأوفد بركساسيس ، وهو رجل كان يثق به ثقة عمياء - إلى فارس ، وأمره بقتل سمرديس . وقد نفذ الرسول المهمة . أما العمل الجنوني الثاني الذي ارتكبه قميز ، فكان قتل أخته التي جاءت معه إلى مصر كزوجة له برغم مخافة زواج الأخ من الأخت لتقاليد الفرس ، ولكنه أرغم القضاة الفارسيين على إصدار فتوى بمشروعية هذا الزواج . ولم يكتف قميز بزواج أخته هذه ، وإنما تزوج أخته الثانية وهي التي رافقته إلى مصر وماتت على يده وكان سبب موتها أن زوجها قميز لاحظ أنها حزنت لموت أخيها سمرديس .

ولا عجب فقد كان قميز مصاباً بالصرع .



ولم يقتصر جنون قمبيز على أفراد أسرته ، وإنما تعداه إلى الآخرين ،  
فقد قتل ابن صفيه وموضع ثقته بركساسيس الذى خلصه من أخيه لاشىء  
إلا لأنه أراد أن يثبت أنه يستطيع أن يصيب قلب أى انسان بسهم يطلقه  
من قوسه ، ولم يجد أمامه إلا هذا الشاب التعس ، كما أنه وأد اثني عشر  
نذيلًا فارسيا أحياء بغير أن يوجه اليهم أى اتهام . .

وحينما لاحظ كردسيوس ملك ليديا السابق طغيان قمبيز وتماديه  
فى إراقة الدماء ، حاول أن يبذل له النصيح ، فجن جنون قمبيز ، وراح  
يوبخ كردسيوس بكل عنف ، ثم التقط قوسه ليطلقه عليه ، ولكن  
كردسيوس غادر الغرفة ركضاً وهرب ، فلما تبين لقمبيز أنه ان يستطيع  
قتله بقوسه ، أمر خدمه بمطاردته وقتله . ولكن الخدم كانوا يعرفون  
طباع مولاهم جيداً ، فلم ينفذوا الامر ، وخبأوا كردسيوس ، لعل قمبيز  
يثوب إلى رشده ، فيعفو عنه حينما يعلم أنه على قيد الحياة ، والواقع أن  
قمبيز سر حينما علم أن كردسيوس لا يزال حياً يرزق ، إلا أنه قتل الخدم  
لأنهم لم ينفذوا أمره فور صدوره .

وهكذا أخذت فظائع قمبيز تتوالى أثناء اقامته فى ممفيس ، فراح  
يفتح المقابر ويتسلل بروية الجشت فيها برغم ما فى ذلك من انتهاك لحرمة  
الموتى وايداء لشعور المصريين .

## الفصل الثالث عشر

### موت قميز

بينما كان قميز بن سايروس يتخبط في جنونه وهو لا يزال يتسكع في مصر ، تمرد عليه الاخوان ماجى ؛ وكان قميز قد ترك أحدهما في فارس للاشراف على شئون أسرته ، فكان هو أول الاخوين الثائرين ذلك أن هذا الثائر كان يعرف أن سمرديس قد قتل ، وأن موته أخفى عن الجميع ، فلم يكن يعلم به غير عدد قليل من الفرس ، بينما كان السواد الأعظم منهم لا يزال يعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة ، وعلى هذا الأساس وضع الثائر خطته ، وضرب ضربة باسلة تستهدف الحصول على التاج . وكان له أخ كما قلت من قبل ، وشاء القدر أن يكون هذا الأخ شبيهاً شبيهاً بسمرديس بن سايروس الذى قتله أخوه قميز ؛ ولم يقتصر التشابه بين هذا الأخ وسمرديس على الشكل ، بل كانا متماثلين أيضاً في الاسم ، وبعد أن أقنعه أخوه باتزيتس بأنه سيتولى اتمام كل شيء بنفسه . أخذه وجعله يجلس على العرش الملكى . وبعد أن فعل ذلك أوفد الرسول إلى جميع الأماكن ؛ إلى مصر وإلى كل مكان ، ليعلنوا القوات بأن عليهم - منذ الآن فصاعداً - أن يطيعوا سمرديس بن سايروس لا قميز .

ونفذ الرسل الأمر الذى صدر إليهم فى فارس ؛ أما الرسول الذى أوفد إلى مصر فما كاد يصل إلى اجبتانا فى سوريا ويجد قهيز وقواته هناك حتى اندفع فى قلب الجيش واذاع التصريح الذى طلب إليه باتزيثس اذاذته ؛ وما كاد قهيز يسمع التصريح حتى اعتقد بصحته كما اعتقد أن بركسابس خدعه ولم يقتل أخاه سمرديس فالتفت إليه متسائلا فقال هذا إن النبأ غير صحيح لأن سمرديس مات تنفيذاً لمشيئته وقال بركسابس لقهيز : د فى رأي أنه يحسن بنا أن نبعث من يجيئ لنا بهذا الرسول وأن نستجوبه بدقة عن أمره بمطالبتنا باطاعة الملك سمرديس .

ووافق قهيز على رأى بركسابس وبعث ببعض رجاله للحاق بالرسول فلما جئ به سأله بركسابس : لقد أسمعتنا رسالة قلت أنها من سمرديس ابن سايروس ؛ والآن أجب على سؤالي بالصدق واذهب آمناً فى طريقك هل استقبلك سمرديس وأصدر إليك أوامره أم ابغاك هذه الأوامر عن طريق أحد ضباطه ؟ فأجاب الرسول : واقع الأمر أن عيني لم تقعا على سمرديس بن سايروس منذ قاد قهيز جيشه إلى مصر أما الرجل الذى أصدر إلى الأمر فهو ماجوس الذى عهد إليه قهيز بتصريف شئون أسرته ولكنه قال لى أن سمرديس بن سايروس أرسل إليكم هذه الرسالة ولم يكن فيما قاله الرسول شيء غير الصدق . وعندئذ قال قهيز لبركسابس : إنك برىء من كل ذنب يا بركسابس لأنك لم تتخاذل عن تنفيذ أمرى ؛ لكن قل لى من هو الفارس الذى يستطيع أن ينتحل اسم سمرديس ويتمرد على ؟ فأجاب بركسابس : اعتقد يا مولاي أنى استطعت ادراك الموقف



كله . إن الرجال الذين تمردوا ضدك هم الاخوان ماجى باتزيثس الذى عهدت إليه بالاشراف على شئون أسرتك واخوه سمرديس .

وما كاد قمبيز يسمع اسم سمرديس حتى أيقن من كلمات بركسابس وتذكر حله القديم الذى رأى سمرديس فيه جالسا على العرش وقد وصل رأسه إلى السماء . وعندما أيقن أنه قتل أخاه بلا داع ؛ بكى وتحسر ثم انتفض فجأة وعول على السير إلى فارس على رأس جيشه للقضاء على ثورة الاخوين ماجى . ولكنه ما كاد يثب حتى انجلى زرار غمد سيفه . فانغرس سنده في فخذه وجرحه في نفس الموضع الذى سبق له أن طعن العجل أبيس فيه . وعندما شعر قمبيز بأنه أصيب بالجرح الذى سيقضى عليه سأل عن اسم المكان الذى يوجد فيه ، فلما قيل له أنه اجبتانا تذكر النبوءة التى سبق أن قالها له أحد العرافين من أنه سيموت فى اجبتانا ، فانتابه فزع قاتل ، وقال بصوت متهدج : إذن فقد قدر لقمبيز ابن سايروس أن يموت هنا !!

وتسعم الجرح . وبعد أيام مات قمبيز . .

ولم يجرؤ أحد ممن كانوا يعلمون بقصة مصرع سمرديس على المجاهرة بالحقيقة خشية أن يتهم بالاشتراك فى قتله .

وحكم سمرديس البلاد وهو مطمئن بينما ظل الشعب يعتقد أنه سمرديس بن سايروس . وانقضت على هذا سبعة شهور وهى الشهور التى تكمل حكم قمبيز ثمانى سنوات . . . ثم . . .

## الفصل الرابع عشر

### كيف ارتقى داريوس العرش

اكتشفت حقيقة سمرديس في الشهر الثامن من ارتقائه العرش على النحو التالي :

كان هناك رجل اسمه اوتانس بن فارناسيس يتمتع بثراء ومكانة رفيعة تضارع أعظم رجال فارس جميعاً ؛ وكان اوتانس هذا أول من ساورته الريبة في أن الملك الجالس على العرش ليس هو سمرديس ابن سايروس ، وكان مما دفعه إلى هذا الاعتقاد أن الملك لم يغادر القلعة منذ تنويجه ، كما أنه لم يستدع أى نبيل من نبلاء الفرس للشول أمامه . وما أن قويت ريبتة حتى شرع يعمل للتأكد من الحقيقة .. كانت إحدى بناته واسمها ( قديما ) زوجة لقمبيز ، وقد استولى ماجوس على هذه الزوجة بين ما استولى عليه من زوجات قمبيز . ومن ثم أرسل اوتانس إلى ابنته هذه رسالة يسألها فيها :

« مع من تنامين في فراش واحد ؟ هل مع سمرديس بن سايروس أم مع رجل آخر ؟ »

وأجابت قديما على ذلك بقولها إنها لا تعلم لأنها لم تسبق لها رؤية

سمرديس بن سايروس من قبل ، فبعث إليها أبوها برسالة أخرى يسألها فيها : « إذا كنت لا تعرفين سمرديس بن سايروس فاسألي الملكة أتوسا مع من تعيش - لأنها لا ريب تعرف أخاها » . وأجابت ابنته على ذلك بقولها : « ليس في استطاعتي أن أتحدث مع الملكة أتوسا ، ولا مع أية امرأة تقيم في القصر ، لأنه ما كاد ذلك الرجل يرتقي العرش حتى فصل زوجاته جميعاً عن بعضهن ، وجعل كل واحدة منهن تقيم في جناح خاص ، وزاد هذا الرد شكوك أوتانس ، ورأى أن يحسم الأمر تماماً ، فبعث لابنته بالرسالة التالية : « يا ابنتي . إنك من دم نبيل ، ولهذا فانك لن تترددى في التضحية من أجل فارس .. إذا لم يكن هذا الرجل هو سمرديس بن سايروس ، وكان الرجل الذي ارتاب فيه ، فيجب ألا يترك ليكون سيدك وسيد الفرس جميعاً بغير أن يلقى جزاءه . والآن أفعلى ما سأقوله لك .. عندما يحىء دورك ليبيت الملك معك ليلة ، تحسسى أذنيه عندما ينام وتأكدى هل له أذنان أم لا . فإذا كانت له أذنان فهو ولا شك سمرديس بن سايروس ، أما إذا لم تجدى له أذنين فاعلمى أنه سمرديس ماجوس » .. وعندما قضى سمرديس ليلته مع ابنة أوتانس تحسست أذناه فلم تجد له أذنين .. فانتظرت حتى طلع اليوم التالى وبعثت تبلغ أباهما بما حدث .

وبادر أوتانس فأنصل باثنين من اخصائه ، اسباتنس وجوبراياس وأفضى إليهما بالسركاه . وكان الرجلان قد ارتابا في الأمر بدورهما ، فعندما صارحهما أوتانس بالأسباب التى جعلته يوقن أن الجالس على عرش



الفرس ليس سمرديس بن ساپروس . قرر كل منهم أن يصطفى شخصاً آخر من الفرس ويفضى إليه بالسرا؛ فاختار أوتانس صديقه انتافرنس، واختار جوبراياس صديقه مجابيزس، واختار اسباتنس صديقه هايدرانس . وبعد أن أصبح عددهم ستة ، وصل داريوس بن هايتاسبس قادماً إلى سوسا من فارس حيث كان أبوه يشغل منصب حاكم . ورأى الستة المتآمرين في وصوله فرصة لضمه إليهم .

وبعد أن أصبحوا سبعة، تبادلوا القسم على الولاء والسكتمان ، وأخذوا يتبادلون الرأي في الموقف ، وعندما جاء دور داريوس للاقتضاء برأيه قال : كنت أعتقد أن أحداً غيرى لم يفطن إلى حقيقة أمر هذا الملك الدعى ، ولهذا جئت إلى هنا على جناح السرعة لاقتل هذا الملك المختصب لكن يبدو أن الأمر معروف لكم جميعاً ، ولهذا فأتى أطلب بقتل سمرديس ماجوس بلا إبطاء .

وحينما حاول الآخرون — وكانوا جميعاً من كبار السن — التلصكو بدعوى ضرورة التزام الحذر ، حذرهم داريوس من هذا التلصكو وهدد بالذهاب بمفرده لقتل سمرديس وإعلان الحقيقة للشعب .

ولما تبين لأوتانس أن داريوس جاد في تهديده بدأ يتراجع عن رغبته في التريث . . . وهذا الآخرون حذوه .

وبينما كانت هذه المؤامرة في حيز التدبير . وقعت الحوادث التالية : كان الاخوان ماجى يفكران فى أحسن وسيلة للتصرف . وقرراً أن

يتخذنا من بركسابس صديقاً لهما ، نظراً لأنهما كانا يعلمان إلى أى مدى قسا قميز عليه حينما قتل ابنه بسهم أطلقه من رمحه أمام عينيه ، كما كانا يعلمان أن سمرديس بن سايروس مات بيديه ، فضلاً عن أنه يحتل مكانة رفيعة بين الفارسيين . ومن ثم استدعياه واتخذنا منه صديقاً ؛ واستطاعا أن ينتزعا منه وعداً ، ثم قسما بالتزام الصمت حيال خدعتهما للفرس ، وتعهداً — مقابل ذلك — بأن يقدما له آلاف الهدايا من كل نوع ولون وعرضاً عليه أن يدعوا الفرس إلى اجتماع عام في ساحة القصر ، وأن يقف هو فوق أحد القباب ويطالب الشعب بأن يؤيد حكم سمرديس بن سايروس دون غيره . وقد لجأ الاخوان ماجوس إلى هذا الاجراء لعلهما يقوبان مكانة بركسابس الرفيعة بين الشعب .

وابدى بركسابس استعداداه لتنفيذ هذه الخطة ؛ ومن ثم جمع الاخوان ماجى الشعب ووضعوا بركسابس فوق إحدى القباب العالية ، وطلبوا إليه أن يخطب في الجماهير . . . وكأنما نسي الرجل الدور الذى طلب إليه أن يلعبه ، أو تناساه ، فراح يحدث الشعب بما حدث وبما آل إليه مصير سمرديس بن سايروس ، وكيف أنه قتله بناء على أمر أخيه قميز .

وختم بركسابس خطابه مفضياً إلى الشعب بأن الجالس على عرش بلاده هو سمرديس ماجوس ، وصب اللعنات على رأس الفرس إذا لم يستعيدوا مملكتهم من الغاصب .

وعلى أثر ذلك قذف بركسابس بنفسه من حائط ، فسقط ميتاً .

وفي تلك الاثناء كان السبعة المتآمرون قد قرروا الهجوم على القصر  
بلا ابطاء . فانطلقوا منه غير عالمين بما فعله بركسابس . وبيناهم في الطريق  
سمعوا بما حدث ، فتوقفوا عن التقدم وراحوا يتشاورون معاً ، وأخيراً  
استقر رأيهم على المضي في تنفيذ خطتهم .

وعندما وصلوا إلى بوابة القصر لم يتعرض لهم أحد لأن الجميع كانوا  
يعرفون سمو مكائتهم ، فلما وصلوا إلى الساحة الكبرى التقوا ببعض  
الخصيان الذين يتولون ابلاغ رسائل الملك واستوقفهم الخصيان وسألوهم  
 عما يريدون ، فلم يأبه المتآمرون بهم ، وحاولوا المضي في طريقهم فاعترضهم  
الخصيان . وهنا استل المتآمرون خناجرهم وأغمدوها في صدور من  
حاول اعتراض سييلهم من الخصيان ، فارتفع الصراخ والصياح .

واندفع المتآمرون إلى جناح الرجال . وكان الاخوان ماجى بداخله  
حينذاك ، فلما سمعا الجلبة ، خرجا على عجل لاستكشاف حقيقة الامر  
فلما أدركا مدى الخطر المحقق بهما ، حاولا الالتجاء إلى السلاح ، ولكن  
داريوس عاجل الملك الدعى بطعنة قضت عليه في الحال ، كما قتل زملاؤه  
أخاه . وأصيب اثنان من المتآمرين بجراح غير قاتلة .

وقطع المتآمرون رأس الملك الدعى ورأس أخيه ، وخرجوا إلى بوابات  
القصر وهم يهتفون ، وقد حملوا الرأسين معهما . وراحوا ينادون الفرس  
ويبلغونهم بما فعلوا .

وفي ذلك اليوم ثار غضب الشعب ، وأخذ يفتك بالماجوسيين حتى  
كاد يفنيهم عن بكرة أبيهم ، لولا أن جاء الليل واختفى الماجوسيون  
في بيوتهم .



وبعد انقضاء خمسة أيام ، خفت حدة العاصفة . فعقد المتآمرون اجتماعاً لدراسة الموقف ، واختلفت آراؤهم . فقال فريق بضرورة ترك الحكم للشعب ، وقال فريق آخر بضرورة حكم الصفوة ، ونادى الفريق الثالث بضرورة استمرار الحكم الملكي .

وكان داريوس على رأس الفريق الثالث . وراج كل فريق يحبذ رأيه بالأسانيد والحجج .

وأخيراً ، وبعد مناقشات طويلة ، انتصر رأى داريوس وفريقه . وهنا برزت مشكلته : من يكون الملك الجديد .

\* \* \*

وقرر المتآمرون أن يكون الملك من بينهم ، واستقر رأيهم على أن يركبوا جيادهم في فجر اليوم التالي ، ويخرجوا إلى ضاحية المدينة . ومن يصل جواده أولاً قبل شروق الشمس مباشرة يصبح هو الملك .

وكانت نتيجة هذا الاتفاق أن أصبح داريوس ملكاً على الفرس . وأعلن باقي المتآمرين الولاء للملك الجديد . . .

ووافق الشعب على أن يكون داريوس ملكاً عليه .

وتبعاً لتقاليد الفرس تزوج داريوس من ابنتي سايروس ، أثوسا وآرتيستون ، كما تزوج بارمايس ابنة سمرديس بن سايزوس ، وابنة أوتانس أيضاً . . .

وعلى أثر ارتقاء داريوس العرش . قسم البلاد إلى عشرين قسماً جعل لكل قسم منها حكومة عين لها حاكم . وحدد الجزية التي يجب على كل حكومة أن تدفعها له . . .

## الفصل الخامس عشر

### ثورة بابل

أوفد داريوس حملة بحرية بقيادة اوتانيس للاستيلاء على جزيرة سامس. وما كادت الحملة تبصر حتى ثارت مدينة بابل على حكم الفرس بعد أن اتخذت جميع الاستعدادات اللازمة للدفاع ومقاومة الحصار؛ ذلك لأن البابليين انتهزوا فرصة الاضطراب الذي عم فارس عند افتتاح أمر سمرديس ماجوس، وما أعقبه من انتخاب داريوس المملك وراحوا يرتبون ثورتهم بغير أن يفطن إليهم أحد.

وعندما حان وقت تمردهم علنا اتخذوا الاجراء التالي : - جمعوا امهاتهم جميعاً في مكان واحد، واختار كل رجل المرأة التي يريدونها من بين نساء أسرته وضموهن إلى الامهات.

أما بقية النساء فأخذوهن إلى مكان آخر وقتلوهن. وكانت فكرة الابقاء على النساء المختارات، استخدامهن لاعداد الخبز والطعام. أما سبب قتل الباقيات فهو رغبة الفرس في عدم استنزاف مالههم من طعام خشية أن يطول أمد الحصار.

وحينما علم داريوس بالامر ، حشد قواته كلها ، وشن الحرب على البابليين ، وزحف على بابل رأساً حيث ضرب عليها الحصار . ولكن البابليين لم يأبهوا بهذا الحصار . وراحوا يتسلقون القباب المشيدة على أسوار مدينتهم ويسخرون من داريوس وجيشه الجرار ، بل لقد صاح أحد البابليين قائلاً : ، لماذا تجمدون هكذا أيها الفرس ؟ لماذا لا تعودون إلى وطنكم ؟ إنكم لن تستطيعوا الاستيلاء على مدينتنا إلا بعد أن تلد الفرس فلوا ! . قالها الفارسي وهو يعتقد أن الفرس لا يمكن أن تلد فلوا

ومر عام وسبعة شهور ، ودب الإعياء في داريوس وجيشه . ومع أن الفرس بذلوا كل محاولة للاستيلاء على المدينة ، إلا أن جميع محاولاتهم بادت الفشل .

وأخيراً ، وفي الشهر العشرين من الحصار حدث شيء عجيب لزوبائرس بن جابازس وهو أحد السبعة المتآمرين . ذلك أن فرساً عنده ولد فلوا ، وحينما سمع لزوبائرس بذلك ذهب للنأكد من الخبر بنفسه ، فلما استوثق منه تكتم الخبر ، وراح يفكر في الأمر .

وتذكر كلمات البابلي الساخرة . وخيل إليه أن الوقت قد حان للاستيلاء على مدينة بابل ، وذهب إلى داريوس وسأله إن كان الاستيلاء على بابل يهمه كثيراً ، فلما أجابه بالإيجاب ، راح يفكر كيف يمكنه أن يفتح أبواب بابل للجيش الفارسي ، وأخذ يستعرض جميع الوسائل ولكنه لم يجد بينها وسيلة واحدة تقربه من النجاح غير تشويه وجهه والتقدم إلى العدو . ولم يتوان هذا المغامر في تنفيذ خطته ، فقطع أذنيه وجذع أنفه وحلق شعره ، وضرب نفسه حتى تورم لحمه . ثم ذهب للقاء داريوس .



وصعق الملك حينما رأى هذا النبيل بهذا الحال المفزع ، فنزل من على عرشه وسأل زوبابرس بلمفة عن شوه وجهه ، ولماذا ، وعندئذ أجاب الشاب .  
ليس هناك إنسان ، غيرك يا مولاي ، يستطيع أن يمسنى بسوء ،  
فأنا الذى فعلت ذلك بنفسى . لقد شوهت وجهى لأننى لم أستطع احتمال  
سخرية الاشوريين من الفرس .

فصاح داريوس : يا لك من رجل تعس . كيف تظن أن تشويه  
وجهك يمكن أن يودى إلى سقوط بابل . إننى لا أتصور أن يبلغ بك  
الجنون هذا الحد الخفيف .

فقال زوبابرس : سأقول لك يا مولاي ما قررت أن أفعله ؛ لقد  
قررت أن نستولى على بابل ورسمت خطى على هذا الأساس . فسافر إلى  
العدر وأنا على هذا الحال . وعندما أدخل المدينة سأقول لهم إنك أنت  
الذى أمرت بتشويه وجهى وتعذيبى على هذا النحو . وأظن أنهم  
سيصدقوننى ويعهدون إلى بقيادة قواتهم . أما أنت فعليك أن تنتظر حتى  
اليوم العاشر بعد دخولى إلى المدينة ، ثم تضع ألف جندى من جنودك  
الذين لا تملك التضحية بهم ، بلا سلاح ، عند بوابة سميراميس ؛ ثم انتظر  
بعد ذلك سبعة أيام ، وضع ألف جندى آخرين عند بوابات نينوس .  
ثم أنتظر عشرين يوماً بعد ذلك وضع أربعة آلاف جندى بالقرب من  
بوابات شالدين . ولكن حذار أن يكون أحد من جميع هذه القوات  
مسلحاً بغير السيف وبعد انقضاء العشرين يوماً أصدر أمرك إلى الجيش  
بالهجوم على المدينة من جميع الجهات ، وضع لى قوتين من الفرس ،  
أحدهما عند بوابة بليان والآخرى عند بوابة سسيان لأننى أتوقع أن  
يقدم البابليون لى مفاتيح مدينتهم بعد أن أحرز لهم انتصارات كثيرة .

وبعدئذ سأستولى أنا وجيشك على المدينة .

وبعد أن أفضى زوبائرس بهذه التعليمات الملك ركض نحو بوابات المدينة ، وهو يكثر من التطلع إلى وراء شأن الهارب من شىء يخشاه . وراه المراقبون البابليون الذين يقفون فوق القباب ، فأسرع بعضهم بالنزول ، وفتحوا أحد الأبواب فتحة صغيرة . وسألوه عما يكون وعن السبب الذى حمله على المجئ . فأجاب بأن اسمه زوبائرس ، وأنه فر من صفوف الفارسيين وجاء اليهم لاجئاً .

وعندما سمع حراس الباب ذلك ، أخذوه من فورهم إلى قضاة المدينة . وهناك راح يندب سوء حظه ويقول لهم إن داريوس أساء معاملته بالطريقة التى يرونها لأنه نصحه برفع الحصار عن المدينة لأنه ليس هناك أى أمل فى الاستيلاء عليها . ثم مضى يقول : « ولقد جئت لايكم أيها البابليون لاثبت لكم الكسب العظيم الذى يمكنكم أن تحصلوا عليه ، والخسارة الفادحة التى ستحل بداريوس . فإني أؤكد لكم أنه لن يفات من القصاص بعد أن شوهني على النحو البغيض الذى ترونه . »

وحينما رأى البابليون هذا الفارسي الكبير على هذا الحال المؤسف لم تساورهم الريبة فى أمره ، وأيقنوا أنه قال لهم الصدق ، وأنه جاء حقاً ليعرض عليهم صداقته ومعاونته ، ومن ثم أبدوا استعدادهم لتقديم كل ما يطلبه ، وحينما طلب أن يكون قائداً لجزء من جيشهم ، أجابوه إلى طلبه ، فمضى ينفذ الخطة التى اتفق عليها مع داريوس .

ففى اليوم العاشر من فراره ، قاد الفرق التى عهد بقيادتها إليه إلى الخارج وحاصر الألف جندي فارسي الذين أرسلهم داريوس طبقاً للاتفاق الذى تم بينهما ، وأبادهم عن آخرهم . وعندما تبين للبابليين أن

أعماله تنسم بالجرأة كلماته سروا أعظم السروز ، ولم يضعوا أية قيود  
على تصرفاته . إلا أنه انتظر مرور الفترة التي اتفق عليها مع داريوس ،  
وعندما حان الموعد المحدد انقض على الآلى جندى فارسى الذين كانوا  
خارج الأسوار ، وأفناهم أيضاً . وهنا راح جميع البابليون يثنون عليه .  
ثم عاد فانتظر مجئ الموعد الثالث ، وهاجم بعده الأربعة آلاف جندى  
فارسى الذين كانوا خارج الأسوار ، ونكل بهم . وبهذا تمت ثقة البابليين  
فيه ، فأعطوه مفاتيح بوابات الأسوار ، وعهدوا إليه بقيادة الجيش كله .  
وطبقاً للخطة الموضوعة ، شن داريوس هجوماً على المدينة من جميع  
الجوانب ، وبينما راح زوبائرس يتظاهر بمقاومة الهجوم الفارسى ، فتح  
للفرس خلصة بوابتى سيسان و بليان فتدفق الفرس منها ، واستطاعوا  
الاستيلاء على المدينة .

وهكذا سقطت بابل للمرة الثانية . وبعد أن أصبح داريوس سيد  
المدينة هدم أسوارها وحطم بواباتها لأن سايروس لم يفعل ذلك حينما استولى  
على المدينة . ثم اختار حوالى ثلاثة آلاف رجل من زعماء بابل وأمر  
بصلبهم ، بينما سمح للباقيين بالبقاء فى المدينة ؛ ولكى يحول دون زوال  
الجنس الآشورى ، قدم لهم زوجات بدل النساء اللاتى سبق للبابليين  
أن ذبحوهن .

وكرم داريوس قائده زوبائرس أعظم تكريم ، فكان يقدم له كل  
عام أعظم الهدايا ، كما كان الفرس يبعولونه أعظم تبجيل . واختاره  
داريوس رئيساً لحكومة بابل طوّل حياته ، ولم يفرض عليه دفع أية  
جزية ، كما أسبغ عليه كثيراً من النعم ودلائل التكريم .



## الفصل السادس عشر

### غزو داريوس لأسقوثيا

---

بعد سقوط بابل، قاد داريوس حملة لغزو أسقوثيا انتقاما من أهلها الذين غزوا ميديا في غابر الزمان بعد أن أنزلوا هزيمة ساحقة بأهلها، وأصبحوا سادة على شمال آسيا لفترة تزيد على ثمانية وعشرين عاما .

وعندما بدأ داريوس يعد حملته على استوثيا ، أوفد عشرات الرسل إلى مختلف الأنحاء وهم مزودون بتعليمات الملك ، فكان على البعض تزويد الجيش بالقوات ، وعلى البعض الآخر تزويده بالسفن، بينما كان على غيرهم العمل على إقامة معابر للجيش على البسفور . وفي تلك الأثناء راح ارتابانوس بن هايستاسبس وشقيق داريوس يابح على الملك لكي يتنحى عن هذه الحملة ميديا له أنه من الصعوبة بمكان مهاجمه أسقوثيا ، وبرغم صواب نصيحة ارتابانوس إلا أنه فشل في اقناع داريوس . ومن ثم كف عن إهداء النصيح .

وعندما أتم داريوس استعداداته ، خرج بجيشه من سوسا . وفي تلك الأثناء جاء رجل فارسي اسمه أوبازوس ، وكان أباً لثلاثة

شبان انضموا جميعاً إلى الجيش ، وتضرع لداريوس لكي يسمح ببقاء أحد أبنائه معه ، فأجاب داريوس أنه سيعفى أولاد الرجل الثلاثة من الذهاب مع الجيش ، فكاد الرجل يطير من الفرح ، ولكن داريوس أمر بقتل الأبناء الثلاثة . وهذا خلفهم داريوس ولكن بعد أن حرمهم من الحياة .

وعندما وصل جيش داريوس إلى أراضى الكلدانيين على شواطئ البسفور حيث أقيم المعبر، ركب داريوس سفينة وذهب إلى جزر سيانيان التي يقول اليونان أنها كانت عائمة في أحد الأيام، وبعد أن زار داريوس المنطقة وفحصها ، عاد أدراجه إلى موضع المعبر الذي أنشأه له سامي اسمه ماندوكس ، وكان جيشه قد التأم في ذلك الحين ، وبلغ - بدون القوات البحرية - سبعمائة ألف مقاتل بما فيهم الخيالة. أما الأسطول فكان مكوناً من ستمائة سفينة .

وقد سر داريوس أيما سرور بالمعبر الذي أقيم على مضيق البسفور ، ولهذا فإنه لم يمنع ماندروكس الجوائز المعتادة ، ولكنه منحه عشرة من كل جائزة .

وعبر داريوس القنطرة مع جيشه إلى أوروبا ، بينما أمر اليونانيين بدخول بونتاس والبحار إلى مدخل نهرايستر حيث أمرهم بإنشاء قنطرة على المجرى وانتظار وصوله ، وكان الآيونيون والايوليان هما الشعبان اللذان شكل من رجالها الجزء الأكبر من رجال الأسطول ، ومن ثم فبعد أن احتل الأسطول جزر سيانيان استمر في البحار إلى نهرايستر

فلما وصل اليه استمر يتقدم إلى حيث يتفرع النهر . وفي تلك الأثناء كان داريوس قد عبر البسفور بواسطة المعبر الذى شيد فوقه ، وزحف عبر ثريت ، حيث ضرب معسكره ، وأقام ثلاثة أيام .

واستأنف داريوس زحفه بعد ذلك إلى نهر إستر ، وبعد أن عبر جيشه النهر فوق المعبر الذى أقامه الايونيون ، أمرهم بتدمير هذا المعبر ، ولكن قائد الاسطول نصحه بالبقاء على المعبر وحراسته لأن الجيش سيحتاج إليه فى حالتى الفوز والهزيمة ، فهو سيحتاج إليه فى الحالة الأولى عند العودة إلى الوطن ، وسيحتاج إليه فى الحالة الثانية كوسيلة للتقدم .  
وسر داريوس بهذه النصيحة ، وأمر ببقاء المعبر .



حينما سمع الاسقوثيون زحف داريوس ، أخذوا يتدبرون أمرهم . كانوا يعلنون أنهم ليسوا على درجة من القوة تمكنهم من الصمود أمام جيش داريوس فى قتال مكشوف ، ومن ثم بعثوا الرسل إلى الشعوب المجاورة التى كان ملوكها قد تقابلوا معاً وأخذوا يتشاورون ماذا يفعلون إزاء زحف هذا الجيش الجرار . وكان الملوك الذين اجتمعوا هم ملوك تورى ، واجثايرس ، وينورى ، وأندروفاجى ، وملانشلاني ، وجلونى وبودنين ، وسايوروماتى . وعندما أدخل رسل اسقوثيا على ملوك هذه الشعوب الذين كانوا يعتقدون حينئذ اجتماعاً للتشاور قالوا لهم أن الفرس أقاموا معبراً فوق مضيق البسفور بعد أن أخضعوا بقيه شعوب القارة الأخرى . وعبروا إلى قارة أوربا حيث أخضعوا الثراسيين ، وأنهم



يقيمون الآن قنطرة على نهر ايستر وغايتهم من ذلك الاستيلاء على  
أوربا كلها .

وبعد أن سمع الملوك المجتمعون ما قاله رسل الاسقوثيين ، أستأنفوا  
التشاور ، وأخيراً انقسمت آراؤهم . فقد اتفقت كلمة ملوك جلوني ،  
وبوديني ، وسايوروماتي على تقديم المعونة للاسقوثيين ؛ أما باقي الملوك  
فأجابوا على رسالة الاسقوثيين بقولهم : لو لم تكونوا البادئين بمعادة  
الفرس وشن الحرب عليهم ، لايقنا أن الرجاء الذي تتقدمون به إلينا  
جادل ، ولقبلنا هذا الرجاء والضممنا لكم في القتال . ولكنكم غزوت  
أرض الفرس من قبل بغير أن تشاورونا في الامر ، وظللتم تحكمونهم  
سنوات طويلة ، ومن ثم فقد جاءوا للثأر منكم ونحن لم نسي إلى هؤلاء  
الرجال في الحرب الماضية ، ولن نكون البادئين بارتكاب الخطأ الآن ،  
فإذا غزوا أرضنا وبدأوا يعتدون علينا فلن نسمح لهم بذلك . وفيما عدا  
ذلك سنظل في بلادنا لأننا نعتقد أن الفرس لم يحيبوا لمهاجمتنا ، وإنما  
جاءوا لمعاقبة من سبق لهم أن أخطأوا في حقهم .

وعندما وصل هذا الرد إلى الاسقوثيين قرروا عدم الاشتباك  
في أية معارك حاسمة مع العدو والالتجاء إلى خطة التهقر أمامه ومعهم  
قطعانهم على أن يردموا جميع الآبار وينابيع الماء عند تهقرهم ويتركوا  
الأرض خالية من المراعى ..

\* \* \*

عندما استقر رأى الاسقوثيين على هذه الإجراءات خرجوا للملاقاة

داریوس بعد أن بعثوا أمامهم قوات استكشاف مكونة من أسرع خيالتهم ، أما المركبات التي كانت نساؤهم وأطفالهم يعيشون فيها ، كذا جميع ماشيتهم ، فيما عدا ما كانوا بحاجة إليه منها لطعامهم ، فقد سبقتهم جميعاً في تفهقهم بعد أن صدرت الأوامر للمهيمنين على هذه المركبات بالاستمرار في السير بدون تغيير خطة نحو الشمال .

وتبين لقوات استكشاف الايقوثيين أن جيش الفرس قد تقدم بمسيرة ثلاثة أيام من نهر إيستر ، وأنهم يضربون معسكرهم من حين لآخر ويدمرون كل ما أنتجته الأرض . وما كاد الفرس يرون خيالة الاسقوثيين حتى تقبعوا أثرهم بينما أخذ العدو يتراجع أمامهم

وعندما وصل داريوس إلى الصحراء كف عن مطاردة العدو ، وأوقف جيشه عند نهر أداروس . وهناك شيد ثمانى قلاع كبيرة تبعد كل منها عن الأخرى ثمانية فورولنج ، وبينما كان منهمكا في بناء هذه القلاع قام الاسقوثيون الذين كان يطاردهم بحركة التفاف كبيرة فوق الأراضي المرتفعة وعادوا لدخول اسقوثيا . وعندما اختفوا تماماً ، ولم يعد داريوس يرى لهم أثراً ، لم يستكمل بناء القلاع ، وعاد فانطلق غرباً ، كان يتخيل أن الاسقوثيين الذين رأهم هم شعب اسقوثيا كله وأنهم لاذوا بالفرار في هذا الاتجاه .

وأسرع داريوس في زحفه ، واقتحم اسقوثيا ، وهناك التحم في القتال مع فرقتين من جيش اسقوثيا وراح يطاردهما . ولكن الفرقتين الاسقوثيتين لزمَا خطة التراجع ، وجعلا المسافة بينهما وبين جيش داريوس

مسيرة يوم كامل . أما داريوس فراح يتتبعهما بقوة ، وهما يستدرجانه إلى أراضي الشعوب التي رفضت أن تنضم إلى أسقوثيا في قتال الفرس ، فعانت هذه الشعوب الأمرين ، إذ هاجمها الأسقوثيون أولاً ، ثم الفرس .. فلما اقترب الفريقان من أراضي شعب أجاسايارثي هدهما زعمائهما بامتشاق الحسام للدفاع عن أراضيهم ، وعندئذ اضطر الأسقوثيون إلى الابتعاد عن أراضي أجاسايارثي ، وطال أمد المطاردة وخيل أنها لن تنتهي ؛ وأخيراً أوفد داريوس رسولا من الخيالة إلى ايدانتائيراثوش ملك الأسقوثيين بالرسالة التالية : « أيها الرجل الغريب .. لماذا تصر على الفرار من أمامي بينما يمكنك أن تفعل أحد أمرين بسهولة؟ إذا كنت تعتقد أنك أهل للملاقاة ومقاومة جيوشي ، فكف عن هذا التجوال . وتعال إلى ودعنا نشترك في القتال . أما إذا كنت ترهب قوتي وبأسي ، فيحسن بك أيضاً أن تكف عن الفرار ، ويكفي أن تقدم لمولايك الأرض والماء وتأتي للتشاور ،

وأجاب ملك الأسقوثيين على هذه الرسالة بالرسالة التالية : ، تلك هي طريقتي أيها الفارس . فأنا لا أرهب الرجال ولا أهرب منهم ، ولم أفعل ذلك في الماضي ، ولست أفعله الآن ، وليس هناك شيء غريب أو جديد فيما أفعله ، فالواقع أنني أسير الآن على النمط الذي انتهجه دائماً حتى في أوقات السلم . وسأحدثك الآن عن سبب عدم اشتباكي معك في القتال . إننا معشر الأسقوثيين لا نملك مدناً أو أراضي مزروعة نخاف عايتها فيدفعنا هذا الخوف إلى الاسراع بخوض المعركة معك .. إذا كنت راغباً في الالتحام بنا سريعاً فأصغ إلى . هناك مقابر كثيرة دفن فيها



آباؤنا ، فابحث عنها وحارل التورط مع الجثث التي بها وعندئذ سترى هل ستنبري لمقاتلك أم لا ، قال ذلك الحين لن نشتبك معك في القتال إلا حينما يحلو لنا ذلك .. تلك هي اجابتي على تحديك لنا بالقتال أما أنت فلن تكون يوما سيدي . وأما الجزية التي تطلبها فلن تحصل عليها مني ، لأنني أنا الذي سأحصل على الجزية منك ، وأخيراً دعني أقول لك يا من تطلق على نفسك لقب «سيد» ( اذهب وابك ) ..

وفي تلك الاثناء قرر الاسقوثيون الكف عن محاوره الفرس في شتى انحاء بلادهم ، والاكتفاء بالانقضاض عليهم كلما جلس الجنود لتناول طعامهم . وبالاخص لانهم جميعاً فرسان يستطيعون (الضرب والجري) بسهولة ..

وفعلا نفذ الاسقوثيون هذه الخطة ، فكانوا ينقضون على الفرس وهم جلوس يتناولون طعامهم ، فيشيعون بينهم الفوضى ، ويقتلون منهم من يقتلون ، وقبل أن يتمكن الفرس من امتشاق الحسام يكون الفرسان الاسقوثيون قد اختفوا عن الانتظار .

وعندما تبين الاستوثيين أن الفرس بدأوا يفرعون ، بدأوا يتخذون خطوات فعالة لحفزهم على عدم الجلاء عن اسقوثيا حتى يمكنهم اصابتهم باضرار أشد جسامه حينما تبدأ مؤنهم في التناقض والتلاشي ، ولهذا عمدوا إلى ترك بعض ماشيتهم في المراعى ، والانسحاب بعيداً حتى إذا ما جاء الفرس للاستيلاء عليها ، انقضوا عليهم بغتة كالاعصار واعملوا فيهم القتل . ولقد كرر الاسقوثيون هذه الخدمة حتى بدأ صيدز داريوس يضيق .

وإذ أدرك أمراء اسقوثيا ذلك ، بعثوا برسول إلى معسكر الفرس ليقدم الهدايا التالية لداريوس : طائراً ، وجرداً ، وضفدعة ، وخمسة سهام . وسأل الفرس الرسول في معنى هذه الهدايا ولكنه قال أن الأمر الذي يقضى بتسليم هذه الهدايا فقط والعودة بأقصى سرعة ، فإذا كان الفرس أذكاء فإن في استطاعتهم أن يستشفوا معنى الهدايا .

وعقد كبار زعماء الفرس اجتماعاً وراحوا يتشاورون في الأمر .

قال داريوس أنه يعتقد أن معنى هذه الهدايا أن الاسقوثيين يعتزمون تسليم أنفسهم له ، لأن الجرد يعيش في الأرض ويتناول نفس الطعام الذي يتناوله الإنسان ، بينما تقضى الضفدعة حياتها كلها في الماء ، ويشبه الطير الجواد شها كبيراً . أما السهام فقد تعني تسليم جيشهم . . ولكن جوبراياس ، وهو أحد السبعة الذين تأمروا على ماجوس ، عارض رأى داريوس وقال له إنه يرى أن معنى هذه الهدايا كالآتي : مالم تتحولوا ، معشر الفرس ، إلى طيور تستطيع الطيران ، أو تصبحوا جزدانا تحفر لها جحورا في الأرض تهربون بداخلها ، أو أن تنقلبوا ضفادع تختفي تحت الماء . فانكم لن تستطيعوا الإفلات من هذه الأرض . ولكنكم سوف تموتون بسهامها .

## الخاصة

### التراجع من اسقوثيا

بعد أن أرسل الاسقوثيون هداياهم إلى الفرس . بدأ جيشهم ينتظم في صفوف قتال في مواجهة الفرس ، وخيل أنهم يستعدون للالتحام معهم في القتال ، إلا أنه حدث في تلك اللحظة أن أنطلق أرنب برى كبير في المسافة التي تفصل بين الجيشين . وما كاد بعض الاسقوثيين يرونه ، حتى اندفعوا لمطاردته . فأحدث ذلك جلبة وضوضاء عاليتين ، وعندما سمع داريوس الجلبة . استفسر عن سببها ، ف قيل له أن الجيش الاسقوثي كله مهلك في مطاردة أرنب برى . فتحول إلى من كانوا معه من قواده وقال لهم : « إن هؤلاء القوم يحتمقوننا تماماً ، وعندى أن تفسير جوبراياس لمعنى الهدايا صحيح . ولهذا أرى أن الوقت قد حان لوضع خطة حكيمة تمكننا من العودة إلى وطننا سالمين . » وسر جوبراياس لما طرأ على موقف داريوس من تغير . وقال له : « لقد كنت واثقاً يا مولاي إننا قادمون إلى سباق غير عملي . وها أنت ذا ترى أنهم يحاوروننا ويتلاعبون بنا . ومن ثم فإن نصيحتي هي أنه ، عندما يرخي الليل سدوله نترك خلفنا الجنود المرضى ومن لا فائدة فيهم ، ومعهم الحمير لتحدث ضوضاء توهم العدد بأننا لانزال في معسكرنا ، ثم نذهب بالجيش من



هنا قبل أن يتمكن العدو من سبقنا إلى نهر إيستر وتدمير المعبر ، أو يضيق الايونيون بتأخرنا فيدمرون القنطرة فيؤدى ذلك إلى هلاكنا . وعندما جاء الليل عمل داريوس بنصيحة جوبراياس؛ فبعد أن ترك الجنود المرضى في المعسكر وكذلك الذين لن يضيره التخلي عنهم ومعهم الخير أمر باشغال نار المعسكر كالمعتاد ، وطلب من الجنود الباقين حراسة المعسكر قائلاً لهم أنه ذاهب ببقية الجيش للاتقضاض على الاسقوثيين والالتحام معهم في معركة فاصلة ..

وخرج داريوس بجيشه من المعسكر وزحف على عجل نحو نهر إيستر . وعندما شعرت الخير برحيل الجيش بدأت تنهق بصوت ملاً الدنيا صخباً . وحينما سمع الاسقوثيون هذا النهيق ، ورأوا نيران المعسكر اطمانوا إلى وجود الفرس في مكانهم .

إلا أنه ما كاد الفجر ينبثق حتى أيقن الجنود الذين خلفهم داريوس خلفه أنهم خدعوا فخرجوا من معسكرهم وتقدموا نحو الاسقوثيين وهم يمدون أيديهم أمامهم ويمطرون داريوس بوابل من اللعنات . وما كاد العدو يعرف ما حدث حتى خف لمطاردة جيش الفرس .. ولكن هيهات ..

فقد استطاع الفرس أن يصلوا إلى القنطرة بسلام ، فعبروها . ثم دمروها بعدهم .

وركب الجيش الفارسي سقته ، وكر غائداً إلى بلاده بعد هذه المغامرة الفاشلة ...

[ انتهى ]

## هيئة قناة السويس

### مناقشة عامة

تطرح هيئة قناة السويس في مناقشات عامة منفصلة كلا من العمليات الآتية :

١ - عملية إنشاء كوبرى متحرك يتكون من ست فتحات ثابتة من الخرسانة المسلحة على خوازيق خرسانية مسلحة وفتحتين متحركتين من الحديد وذلك على الخور المقابل لمدينة بور توفيق ليصل طريق الهيئة الجديد ببور توفيق .

٢ - عملية إنشاء مدرسة خاصة للهيئة ببور فؤاد

٣ - عملية إنشاء أرصفة غير عميقة بطول ثلاثة كيلو مترا من الساتر التوجيهية ببور فؤاد .

٤ - عملية إنشاء مباني للارشاد اللاسلكى بالقنطرة غرب وكبريت وبور توفيق .

ويمكن الحصول على المستندات الخاصة بأى من هذه العمليات بالحضور شخصيا الى مقر الهيئة بالإسماعيلية ( قسم التخطيط والابحاث ) وذلك نظير دفع مبلغ عشرين جنيها لكل من العمليتين الاولى والثانية ومبلغ ثلاثين جنيها للعملية الثالثة ومبلغ خمسة جنيهات لكل مبنى من المباني الثلاث بالعملية الرابعة

وتقدم العطاءات باسم السيد رئيس هيئة قناة السويس بالإسماعيلية ( قسم التخطيط والابحاث ) في ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم :

- الاثنين ١٩٦١/٥/٨ للعملية الاولى مصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ١٩٠٠ ج .

- الاربعاء ١٩٦١/٤/١٩ للعملية الثانية مصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٥٠٠ ج .

- الاثنين ١٩٦١/٥/١ للعملية الثالثة مصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ٢٥٠٠ ج .

- الاثنين ١٩٦١/٤/٢٤ للعملية الرابعة مصحوبة بتأمين ابتدائي قدره ١٠٠ ج عن كل مبنى من المباني الثلاثة .

ولن يلتفت لاية عطاءات تقدم بعد المواعيد المحددة اعلاه او غير مصحوبة بالتأمين الابتدائي المشار اليه .





# روايات عالمية

تقدم صباح السبت القادم  
السبت ٨ ابريل سنة ١٩٦١



## مأساة غرامية

بقلم الكاتب الإيطالي الكبير  
هانز رولفانج هيتيه

ترجمة

الاستاذ عمر عبد العزيز

الثمن

الكتاب ٩٤

صدر يوم الخميس ٦ ابريل ( نيسان ) ١١

الدار القومية للطباعة والنشر

شركة ذات مسئولية محدودة

03  
42

Biblioteca Alexandrina



0674993